

دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي (KPT)

جامعة المدينة العالمية

كلية اللغات

قسم الأدب العربي والنقد

أدب وبلاغة

قصة "حي بن يقظان" "دراسة أدبية بلاغية تحليلية "

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير

إعداد

سُعدى محمد إبراهيم الزهراني

AM209

تحت إشراف

الأستاذ المساعد دكتور / أحمد عبد العاطي

العام الجامعي: ٢٠١٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

صفحة الإقرار : APPROVAL PAGE

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا بحث الطالب ________________

من الآتية أسماؤهم:

The dissertation has been approved by the following:

Academic Supervisor **المشرف على الرسالة**

Supervisor of correction **المشرف على التصحيح**

Head of Department **رئيس القسم**

Dean, of the Faculty **عميد الكلية**

Academic Managements & Graduation Dept **قسم الإدارة العلمية والتخرج**

عمادة الدراسات العليا ***Deanship of Postgraduate Studies***

إقرار

أقررتُ بأنّ هذا البحث من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، والنقل والاقتباس من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث.

اسم الطالب : ----------------.

التوقيع : ------------------

التاريخ : ------------------

DECLARATION

I herby declare that this dissertation is result of my own investigation, except where otherwise stated.
Name of student**: -------------------------------**.

Signature: ------------------------
Date: ------------------------

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

اسم الباحث هنا

عنوان الرسالة هنا

أكدّ هذا الإقرار :--------------.

التوقيع:------------- **التاريخ:** ---------------

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع، والذى يسعدني أن أهديه:
إلى والدي أسأل الله تعالى أن يحفظه ويديم عليه نعمة الصحة والعافية ، وإلى والدتي التي لم تنسني من الدعاء حفظها الله ورعاها وألبسها لباس العافية.

كما اهديها لتلك النفوس التي لا تنسى والملامح التي لا تغيب عن مخيلتي الى جدتي وعمي الغاليين الذين رحلوا عن واقعي بمرارة رحمهم الله واسكنهم فسيح جناته

إلى زوجي الغالي ورفيق دربي الذي وفر لي كل أسباب النجاح وكان خير معين لي بعد الله على تخطي كل الصعاب حفظه الله ورعاه.

إلى أبنائي وبناتي في المستقبل والمستقبل من خلالهم..

إلى جميع إخواني وأخواتي والأهل والأحباب.

شكر وعرفان

أشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لإتمام هذه الرسالة المتواضعة وانطلاقاً من قول الرسول صلى الله عليه وسلم " من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه" أتقدم بخالص شكري لأستاذي ومشرفي

الدكتور/ أحمد علي بن عبد العاطي

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كافة منسوبي جامعة المدينة العالمية بماليزيا على مساعدتهم وتعاونهم وعلى رأسهم **الدكتور محمد بن خلفة التميمي مدير الجامعة كما أخص بالذكر سعادة الدكتور اشرف حسن الذي كان لآرائه النيرة في الرسالة** سائلةً الله عز وجل أن يوفق الجميع للخير.

ملخص البحث

تعد قصة ""حي بن يقظان" من أهم القصص التي ظهرت في العصور الوسطى، في نظر كثير من النقاد، فهي رائدة في فن القص، إلى جانب ألف ليلة وليلة، لهذا لا يحق لنا أن نحاكمها بمقاييس عصرنا، وما توصلنا إليه من إنجازات في النظرية السردية، فإذا حاولنا الحديث عن هذه القصة، بمقاييس عصرنا اليوم فليست الغاية تقويمية، كما قد يظن البعض، وإنما من أجل إبراز إنجازاتها الفنية المدهشة، وإبراز سقطاتها الفنية التي مازلنا نلاحظها لدى كتابنا اليوم، لذلك لا يضير مكانة ابن طفيل وريادته الحديث عنها.

ثمة وعي لدى المؤلف أنه يقدم قصة، لذلك وجدناه يستخدم هذا المصطلح في التمهيد "فأنا واصف لك قصة ""حي بن يقظان"" وقد استخدم مصطلح "واصف" بدل مصطلح "سارد" أو "أقص" كذلك أبرز في التمهيد أسباب كتابة هذه القصة، إنها أسباب تعليمية فقد كتبها بناء على سؤال صديقه عن الحكمة المشرقية التي ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا، لذلك ينصحه بلهجة تعميمية قائلا: "فاعلم: أن من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه، فعليه بطلبه والجد في اقتنائه" وهذا ما فعله بطل قصته (حي) حين بذل غاية جهده ليصل إلى الحقيقة.

ثمة عناية في رسم هذا المشهد، ظهرت في طريقة تقديم المؤلف للشخصيتين الرئيستين في القصة، فلجأ إلى رسمهما من الخارج وخاصة شخصية (حي) فبرز لنا في شكله البدائي (شعر رأسه يغطي جسده، ريش النسر الذي يكسوه) كما وصف لنا الأعماق، فاستطاع أن يبرز لنا حالة الرعب التي أحس بها كل واحد منهما حين التقى بالآخر، وخاصة رعب المدني من البدائي، وبذلك اجتمع في هذا المشهد عناصر سردية تجعل هذه القصة ذات سمات فنية ممتعة إلى حد ما.

صحيح أن بداية القصة وخاتمتها تمتعت بقدرات جمالية في السرد، لكن صلب القصة التي تتحدث عن معاناة (حي) الروحية إثر وفاة أمه، بدت أشبه برحلة فلسفية صوفية علمية، فقد أسقط ابن طفيل أفكاره على الشخصية (حي) وجعله يتحدث بلغته الفلسفية الصوفية، فبدت لنا هذه الشخصية البدائية أشبه بفيلسوف مسلم، يتحدث لغة القرآن الكريم، دون أن يتعرف على الإسلام بعد.

إذا رغم حياة العزلة التي عاشها (حي) فقد وجدناه عالما في الفلك، حين تأمل الكون ونشأة الأرض، كما وجدناه طبيبا، حين بدأ بتفحص جثة أمه الظبية، ويشرحها باحثا عن مصدر الحياة وسبب الموت، لنتأمل هذا القول، الذي يرصد لنا أعماق الشخصية وأفكارها "وعلم أن أمه التي عطفت عليه وأرضعته، إنما كانت ذلك الشيء المرتحل، وعنه كانت تصدر تلك الأفعال كلها، لا هذا الجسد العاطل، وأن هذا الجسد بجملته، إنما هو كالآلة وبمنزلة العصي التي اتخذها لقتال الوحوش، فانتقلت علاقته عن الجسد إلى صاحب الجسد

ABSTRAC

The story " " neighborhood bin Yaqthan " of the most important stories that appeared in the Middle Ages , in the eyes of many critics , it is a pioneer in the art of storytelling , along with a thousand and one nights , for this we have no right to Nhakmha the standards of our time , and we have reached achievements in theory of narrative , if we tried to talk about this story , the standards of our time today Felict end calendar , as some may think , but rather to highlight the achievements of technical amazing , and to highlight the Sagtadtha art that we still observe with our day , so it does not harm the status of Ibn Tufail and leadership to talk about.

There is awareness among the author that offers a story , so we found the term is used in the boot " I descriptor you a story ," " neighborhood bin awake " " has used the term " descriptor " instead of the term" narrator "or" I cut " as well as the most prominent in the boot reasons for writing this story , it's educational reasons have by building on the question of his friend about the wisdom EXISTS mentioned by President Sheikh Abu Ali ibn Sina , so I advised him to tone circular saying : " Know therefore that the one who wanted the right which is not a skull in it, he has his application and Grandpa in the acquisition ," this is what a hero his story (neighborhood) while making very effort to reach the truth.

There is a care in drawing this scene , appeared in the manner of the author of the figures the two key in the story , resorted to Smhma from abroad , especially personal (live) demonstrated to us in its primitive form (his hair covering his body , eagle feathers , which misty) as our description depths , was able to brings us to the case of the horror felt by each and every one of them when he met one another , especially the horror of civil primitive , and thus met in this scene narrative elements make this story relevant technical features enjoyable to a certain extent.

It is true that the beginning of the story and its conclusion enjoyed the capabilities of the aesthetic in the narrative , but the heart of a story that talks about the suffering of the (district) spirits following the death of his mother , looked more like a trip philosophical mystical science , has dropped Ibn Tufail his thoughts on the personal (neighborhood) and make it speak in his own language philosophical Sufism, Fbdt us this character is like primitive Pfilsov Muslim , speaks the language of the Koran , without recognize Islam after.

If , despite the lives of isolation experienced by the (neighborhood) has found it a scientist in astronomy, while hopes of the universe and the emergence of the Earth , as we found a doctor, when he began examining the body of his mother doe , and explain it , looking for the source of life and the cause of death , to reflect on this saying , which made us the depths of personal and ideas " it was learned that his mother, who Ataft him and breastfed him , but was that thing Almerthal , and it was published that acts as a whole, not this body, the unemployed , and that this body a whole , but it is as the machine and is like the sticks has taken to fight monsters , moved his relationship from the body to the owner of the body

فهرس المحتويات

الإطار العام للدراسة

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأجمعين ومن استن بسنته إلى يوم الدين.

إن من القصص الأدبية التي لاقت رواجا عند كثير من أبناء جلدتنا قصة "حي بن يقظان"، فقد لاقت هذه القصة رواجا عظيما بين الأدباء وترجمت إلى كثير من اللغات وحاول تقليدها والاقتباس منها أدباء وكتاب من مذاهب شتى منها الأسطورة الشهيرة روبن كروز و كذلك طرزان.

خلاصة القصة أن "حي بن يقظان"، الذي سميت القصة باسمه أُلقي وهو طفل في جزيرة خالية من السكان، فأرضعته ظبية؛ وشب الفتى متوقد الذكاء عظيم المهارة، فكان يصنع حذاءه وأثوابه بنفسه من جلود الحيوان، ودرس النجوم، وشرَّح الحيوانات حية وميتة، حتى وصل في هذا النوع من المعرفة إلى أرقى ما وصل إليه أعظم المشتغلين بعلم الأحياء ثم انتقل من العلوم الطبيعية إلى الفلسفة وعلوم الدين، وأثبت لنفسه وجود خالق قادر على كل شيء، ثم عاش معيشة الزهاد، وحرم على نفسه أكل اللحم، واستطاع أن يتصل اتصالاً روحياً بالعقل الفعال .

وعلمه "آسال" لغة الكلام وسره أن يجد أن حياً قد وصل دون معونة أحد إلى معرفة الله، وأقر لـــ "حي" بما في عقائد الناس الدينية في الأرض التي جاء منها من غلظة وخشونة، وأظهر له أسفه على أن الناس لم يصلوا إلى قليل من الأخلاق الطيبة إلا بما وعدوا به من نعيم الجنة، وما أنذروا به من عقاب النار. واعتزم حي أن يغادر جزيرته ليهدي ذلك الشعب الجاهل إلى دين أرقى من دينهم وأكثر منه فلسفة.

فلما وصل إليهم أخذ يدعوهم في السوق العامة إلى دينه الجديد وهو وحدة الله والكائنات، لكن الناس انصرفوا عنه أو لم يفهموا أقواله. وأدرك أن الناس لا يتعلمون النظام الاجتماعي إلا إذا مزج الدين بالأساطير، والمعجزات، والمراسيم، والعقاب والثواب الإلهيين.

ثم ندم على إقحامه نفسه فيما لا يعنيه، وعاد إلى جزيرته، وعاش مع "آسال" يرافق الحيوانات الوديعة والعقل الفعال، وظلا على هذه الحال يعبدان الله حتى الممات.

لما كانت القصة على هذه الدرجة من الأهمية، فلا بد من طرح بعض الأسئلة التي يمكن أن تقودنا إلى تقييم يحدد مكانتها بين الأجناس الأدبية الأخرى، ومن ثم يدخلنا في دائرة السحر التي تحيط بالقصة. والسؤال الذي يلح علينا هو لماذا نكتب قصة ثم كيف تطور فن القصة؟ والسؤال الآخر هو: لماذا نقرأ القصة، وكيف تطورت قراءتها؟

مشكلة الدراسة:

إن قصة "حي بن يقظان" من الروائع التي خلدت على مر الزمان و المكان وقد تم ترجمتها إلى كثير من اللغات من كل النواحي فهي تعد إبداعا بلاغيا وفكري بكل ما يحمل معنى الكلمة، حتى من وجهة نظر كثير من النقاد، فهي رائدة في فن القص.

من أجل ذلك كان موضوع هذه الدراسة القيم الادبية المتضمنة في القصص الأدبية وما هي المضامين الأدبية والبلاغية في قصة "حي بن يقظان" كنموذج . ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس كالتالي ما القيم الادبية و البلاغية المتضمنة في قصة "حي بن يقظان"؟ وينبثق من هذا السؤال الأسئلة التالية:

١. ما المتطلبات البلاغية في القصص حتى تعتبر عملاً أدبياً؟

٢. ما مفهوم القيم الادبية والبلاغية للقصة؟ وما مدى تواجد عناصرها في قصة "حي بن يقظان"؟

٣. ما القيم الأدبية التي يمكن استخلاصها من القصص؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة قصة "حي بن يقظان" دراسة تطبيقية، تحاول أن تؤسس لرؤية موضوعية في تناول القصة كنوع من أنواع الأجناس الأدبية البلاغية من حيث النص السردي الذي

ينتمي إلى الأدب القصصي العربي يمكن صياغة الأهداف على النحو التالي:

١. بيان متطلبات القصة حتى تعدو عملاً أدبياً .

٢. بيان الدور الأدبي للقصة ، وبيان مجالاتها.

٣. بيان القيم البلاغية بالقصص بصورة عامة و قصة "حي بن يقظان" بصورة خاصة.

٤. تحليل قصة "حي بن يقظان" لمعرفة القيم البلاغية المتضمنة بها.

٥. بيان نتائج عرض وتحليل القيم الأدبية والبلاغية المتضمنة في القصص وقصة "حي بن يقظان" كنموذج قصصي راقي .

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية القصة ومكانتها الأدبية والبلاغية، مما يلزم القراء والأدباء بمتابعتها والاهتمام بها وتنقيتها من كل ما قد يشكل فكرة وبراعة النص وفكرة المؤلف، ويمكن توضيح أهمية هذه الدراسة إجرائياً كالتالي:

١. إثراء المكتبة الأدبية في البيئة العربية والخاصة بمجال الأدب التي تهتم بتنمية جوانب الأدب القصصي كنوع من الأجناس الأدبية، وذلك في مجال القصص وأثر القيم والاتجاهات التي تتضمنها على نفس المتلقي من جانب و القاص من الجانب الآخر، من خلال تحليل محتوى قصة "حي بن يقظان".

٢. لفت النظر إلى الجمال السردي والنواحي البلاغية لقصة "حي بن يقظان"، و أبعاد الأساليب البلاغية والأدبية والتعبيرية السلبية من أجل تقوية صلتها باللغة العربية.

٣. استثارة الباحثين والدارسين والأدباء إلى إجراء مزيد من البحوث والدراسات في مواضيع تقترحها الدراسة.

٤. قد تساهم الدراسة في وضع بعض الأطر الحديث لكتابة القصة.

منهج الدراسة :

بناءً على أهداف الدراسة، وإجابة على أسئلتها، اتّبعت الباحثة المنهج الوصفي، إذ إن " كل منهج يرتبط بظاهرة معاصرة بقصد وصفها وتفسيرها يعد منهجاً وصفياً"[1].

استخدمت الباحثة المنهج التاريخي الاستنباطي الذي يركز على دراسة الظواهر التاريخية ومدى انعكاسها في العمل الأدبي .

وقد قامت الباحثة بتوضيح علاقة القصة ونوعها في الأدب وجوانبها البلاغية ، ثم قامت باستخراج القيم الأدبية و البلاغية المتضمنة في القصص بصورة عامة وقصة "حي بن يقظان" بغرض تطوير الواقع والوصول إلى استنتاجات تفيد في تفعيل تلك القيم الأدبية.

حدود الدراسة:

سوف تقتصر هذه الدراسة على دراسة القيم الأدبية المتضمنة في القصص بصورة عامة وكنموذج خاص تم اتخاذ قصة "حي بن يقظان".

الدراسات السابقة :

لقد وجدنا صعوبة في إيجاد بعض الدراسات السابقة التي تتناول قصة "حي بن يقظان" من الناحية البلاغية الأدبية حيث إن أغلبية الكُتاب و الباحثين قد تناولوها من الناحية الفلسفية و لذا سوف نتناول فقط بعض الدراسات التي استطعنا الحصول عليها رغم قلتها وهي على النحو التالي :

١. أثر الرواية الغربية الحديثة في الرواية العربية

أثر "الصخب والعنف" لوليم فوكنر في "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني

تحدث الباحث في هذه الدراسة عن التقنيات الحديثة في الرواية مقارنة برواية "حي بن يقظان" ودون محاكمة ابن طفيل حيث الزمان غير الزمان و المكان غير المكان والألفاظ غير الألفاظ. فمن أجل أن

---

[1] العساف، صالح بن حمد، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ.

إبراز أهم معالمها دون أن يعني ضرورة التزامها بشكلها الحرفي، أو حصرها في قالب واحد لا يطاله التغيير، أو الإضافة، فهي أدوات باتت شائعة في الرواية، يتوجب علينا معرفتها، كي نتمكن من التفاعل مع الإنجازات الحديثة للرواية، ولعل أهم هذه التقنيات المستخدمة هي: الحوار الداخلي المباشر، الحوار الداخلي غير المباشر، الوصف عن طريق المعلومات المستفيضة، مناجاة النفس.

تبدو لنا لغة الرواية الحديثة لغة يغلب عليها المجاز، ويسودها التشخيص والتكرار، يبدو عليها الخلل في التركيب أحيانا، إذ قد نجد تركيب الجملة في حالة من الفوضى، فقد ينقص الجزء الأول منها، وقد ينقص الجزء الأخير.

٢. نموذج من الأثر الإسلامي في الأدب الغربي أثر "حي بن يقظان" لابن طفيل في روبنسون كروزو لدانييل دبفو، الدكتورة: ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن دراسة ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٠.

ولقد تناولت الكاتبة قصة "حي بن يقظان" بنوع من المقارنة مع رواية روبنسون كروز من الناحية البلاغية حيث تناولت عدة جوانب منها: ملاحظات فنية حول رواية "حي بن يقظان"، اللقاء بين "حي بن يقظان" و"روبنسون كروزو"، الاختلاف بين "حي بن يقظان" و"روبنسون كروزو".

٣. الصلة بين حي ابن يقظان وروبنسون كروزو، دراسة في الأدب المقارن، *أيمن محمد أبو بكر*

خلاصة—هذا البحث يبحث في الصلة بين "حي ابن يقظان" و"روبنسون كروزو".

إن "روبنسون كروزو" قصة كتبها "دانيال ديفو" ونشرها لأول مرة عام ألف وسبعمائة وتسعة عشر، وهي تَحكي قصة شابٍ عاش في جزيرة من الجزر وحيدًا، لمدة طويلة دون أن يُقابل أحدًا من البشر، ثم بعد عدة سنوات التقى بأحد المتوحشين، فعلمه بعض ما وصل إليه الإنسان المتحضر من تقدم فكريٍ، واتخذه خادمًا له، ثم يعود في نهاية المطاف مصطحبًا خادمه إلى أوربا حيث العالم المتحضر.

مصطلحات الدراسة

الادب :

الأدب لغةً :

"الأَدَبُ (هو الذي يَتَأَدَّبُ فِيهِ الأديب من الناس، سُمِّي أَدَبَاً لإنهُ يُؤدِبُ الناسَ ويُوَجِّهُهم إلى المَحَامِد، وينهَاهُم عن المَقَابِح، وأَصل الأدب: الدعاء، والأدب : أدبُ النفسِ أو الدرسِ "[1].

"والأدبُ : الظَّرفُ وَحَسنُ التناول وأدبَ البِلاد إيداباً : مَلأها عدلاً، وأدبُ البحرِ: كَثْرَةُ مائِه"[2].

"وأَدَّبْتُهُ أَدَباً: مِن بَابِ ضَرَبَ، عَلَّمْتُهُ رِيَاضَةَ النفسِ ومَحَاسِنَ الأخلاقِ" [3].

"والأَدَبُ: مَلَكةٌ تَعْصِمِ من قَامَ بها عما يشينه، والأدَبُ : هو استِعمَالُ مَا يُحمَدُ قَولاً و فعلاً ، والأدبُ : حُسنُ الأَخلاقِ وفِعلُ المكارم وإطلاقهُ على علوم العربية مُولَّدٌ مُحدَثٌ في الإسلامِ "[4].

الأدب اصطلاحاً :

عُرِّفَ الأدبُ تعريفات متعددة منها :

١. عرَّفَهُ ضيف (١٩٦٠) بأَنَّهُ " الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء، والسامعين سواء أكان شعراً أم نثراً "[5].

التعريف الإجرائي للأدب :هو المعرفة المتعلقة بحياة الأديب وآثاره ونقدها والحديث عن الفنون الأدبية.

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧ هـــ الجزء الخامس باب التاء ، ص ٢٠٠.

[2] الفيروزآبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، ١٩٨٣، ٣٦.

[3] الفيومي، أحمد محمد علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، ١٩٢١، ص ١١

[4] تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، بيروت، تصويراً عن طبعة المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦هجرية، ص ١٢.

[5] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، ١٩٦٠، ص ٣٢.

القصة:

القصّة لغة:

وقال ابن منظور: "والقِصّة: الخبر، وهو القصص. وقصّ عليّ خبره يقُصُّه قصًّا وقصَصاً: أورده. والقَصصُ: الخبر المقصوص، بالفتح، وُضع موضعَ المصدر حتى صار أغلب عليه. والقِصَص بكسر القاف: جمع القِصّة التي تكتب.

والقِصة: الأمر والحديث، والقاصّ: الذي يأتي بالقصّة على وجهها كأنّه يتتبّع معانيها وألفاظها." فالقِصّة: التي تكتب، والجملة من الكلام، والحديث، والأمر، والخبر، والشأن.

وأصل القصص عند العرب تتبّع الأثر، فالعالم بالآثار يسير وراء من يريد معرفة خبره، وتتبّع أثره، حتى ينتهي إلى موضعه الّذي حلّ فيه.

تعريف القصة اصطلاحا:

قال الحرالي: "القصص: تتبّع الوقائع بالإخبار عنها شيئاً بعد شيء في ترتيبها في معنى قصّ الأثر، وهو اتباعُهُ حتى ينتهي إلى محلّ ذي الأثر" .

وقال الدكتور عمر سليمان الأشقر في تعريف القصة بأنها: "فنّ حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب لغوي ينتهي إلى غرض مقصود".

وقال الدكتور محمد بن سعد بن حسين: "القصة: هي عمل أدبيّ يقوم به فرد واحد ويتناول فيها جانباً من جوانب الحياة.

والقصة: حدَث أو أحداث، قد تكون من واقع الحياة، وقد تكون متخيّلة ولكنّها ممكِنة الوقوع، أمّا القصّة في أدب ما يسمّى بــ "اللا معقول" فإنها نوع من العبث الفكري يجب ألا يلتفَت إليه لخلوّها من الفائدة."

تعريف القاصّ:

قال ابن الجوزي: "القاص: هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها وذلك القصص، وهذا في الغالب عبارة عمّن يروي أخبار الماضين."

التعريف الإجرائي للقصة :

شكل فني من أشكال الأدب الشيق، فيه جمال ومتعة، وله عشاقه[1]. - وأي قصة — هي طريقة تعبر عن الحياة أو بعض منها وذلك بتناول واقعة واحدة أو عدد من الوقائع، يكون بينها ترابط، على أن يكون للقصة بداية ونهاية[2].

قصة "حي بن يقظان" :

أسطورة تحكي قصة شخص يدعى "حي بن يقظان" نشأ في جزيرة وحده، وترمز للإنسان، وعلاقته بالكون والدين، كما تحتوي على العديد من القصص والأساطير الفرعية، أنشأها فلاسفة، واحتوت مضامين فلسفية .أول منشئ لقصة "حي بن يقظان" هو الفيلسوف ابن سينا، وفعل ذلك أثناء سجنه، ثم أعاد بناءها شهاب الدين السهروردي، وبعدها كتبها الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل، ثم كانت آخر رواية للقصة من قبل ابن النفيس الذي تنبه إلى بعض المضامين الأصلية الخاصة بابن سينا، والتي لم تكن توافق مذهبه، فأعاد صياغتها لتكون رواية "حي بن يقظان" عن صالح بن كامل. أشهر مؤلف من بين هؤلاء الأربعة التصقت القصة باسمه هو ابن طفيل، ومن شهرة هذه الرواية الفلسفية، فإن قصصا غربية مثل قصة روبنسون كروزو وطرزان قد استوحيت من هذه القصة.

هيكلة الدراسة :

تتضمن الدراسة مقدمة وفصلين وخاتمة

- **المقدمة:** مشكلة الدراسة وأهدافها وأهميتها وفرضياتها ومصطلحات الدراسة والحدود الزمانية والمكانية للدراسة.

---

[1] نجيب، أحمد ، المضمون في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة. ١٩٧٩م، ص ٦٤.

[2] المرصفي، محمد علي، في التربية الإسلامية بحوث ودراسات، مكتبة وهبة، القاهرة.١٩٨٦م، ص٢٩.

- **فصول الدراسة:** تتضمن تحليل لقصة "حي بن يقظان" مع تمهيد عن أهمية القصة ومفهومها في اللغة والاصطلاح ثم مقارنة قصة "حي بن يقظان" مع قصة روبن كروز.
- **الخاتمة :** وتتضمن أهم النتائج والتوصيات والتوصيات والخلاصة عن أهم ما توصلت إليه الدراسة.

تقسيمات الدراسة :

المقدمة وتشمل

- مقدمة الدراسة.
- مشكلة الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- منهج الدراسة.
- حدود الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.
- الدراسات السابقة.

الفصل الأول : مفهوم وماهية القصة

- **المبحث الأول :** مفهوم و تعريف القصة.
- **المبحث الثاني** : الدور الأدبي للقصة ومجالاتها.
- **المبحث الثالث** : القيم البلاغية للقصص.

الفصل الثاني: الخلفيات البلاغية لقصة ابن طفيل الأدبية

- **المبحث الأول:** الصورة البلاغية في قصة ابن طفيل
- **المبحث الثاني:** الصورة البلاغية في مدخل القصة وخاتمتها.

الفصل الثالث: عرض وتحليل القيم الأدبية المتضمنة في قصة "حي بن يقظان" في الأدب المقارن.

- **المبحث الأول:** صورة الأدبية في وصف الشخصيات "حي بن يقظان" وروبن كروز.
- **المبحث الثاني:** الاختلاف بين ""حي بن يقظان" وروبنسون كروزو".

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

الفهارس.

الفصل الأول

مفهوم وماهية القصة

- **المبحث الأول** : مفهوم و تعريف القصة.
- **المبحث الثاني** : الدور الأدبي للقصة ومجالاتها.
- **المبحث الثالث** : القيم البلاغية للقصص.

الفصل الأول

مفهوم وماهية القصة

تعتبر القصة من أروع الفنون الأدبية، حيث يقصد بها ترويح النفس باللهو المباح، وتثقيف العقل بالحكمة[1]، وهذا الفن من الفنون التي احتلت مكاناً، مرموقاً في النفوس، للمتعة التي يحس بها القارئ، ويتذوقها السامع، باختلاف العصور، وتنوع الأعمال، وتباين البيئات[2]، كما أنه يعد شكلاً من أشكال التعبير، وسيلته النثر، ويعتبر من أعرق ألوان الأدب تاريخاً ووجوداً، لأن دافع السرد القصصي خاصية إنسانية يشترك فيها جميع الناس، إذ يستطيع كل إنسان أن يحكي لك حادثة مرت له، أو موقفاً تعرض له، ومعنى هذا أن القصة ولدت مع الإنسان، طالما أن الحكاية – وهي العنصر الأساسي في القصة- قاسم مشترك بين الناس، فلا زال الطفل يميل لسماع حكايات جدته، ولا زال الناس يتبادلون الحكايات في مجالسهم للسمر[3] والسهر والترويح عن النفس .

وعلى هذا نرى أن فن القصة من أقرب الفنون الأدبية إلى النفس البشرية، لأنه فن يستقي مادته من الحياة اليومية الجارية بحلوها ومرها، وينقل التجارب والخبرات من واقع تلك الحياة، ويحيل ما يستقيه وما ينقله إلى أشياء ثابتة نسبياً، في صورة تتميز بروح الشمول أو التأثير القوي، وذلك عن طريق العرض الجيد، من خلال الأسلوب المحكم النسج الذي تترابط لحمه بسداه، وتتماسك العلاقات بين كلماته وجمله وتعبيراته، والذي يعطي دلالات جيدة مؤثرة .

إن التاريخ قد حفظ لنا الكثير من القصص في كليلة ودمنة للفيلسوف بيدبا، وفي أيام العرب، وفي رواية التوابع والزوابع لابن شهيد، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ورواية "حي بن يقظان" لابن طفيل، ولا شك أن جل العناصر المهمة للقصة كانت متوفرة لهذه القصص القديمة ، وأنها كانت قصصاً قصيرة وطويلة رائعة أبدعها الخيال القديم.

---

(1) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ج ٣ "بطرس البستاني" دار نظير عبود –بيروت، ص٦٥.

(2) الأدب العربي الحديث "د. محمد صالح الشنطي" دار الأندلس –بحائل ص٢٣.

(3) تاريخ آداب العرب ج١ "مصطفى صادق الرافعي" دار الثقافة –بيروت ص٢٨.

فمن خلال هذا الفصل سوف نتناول مفهوم القصة في ثلاثة مباحث على النحو التالي المبحث نتناول في المبحث الأول مفهوم القصة وفي المبحث المبحث الثاني الدور الأدبي للقصة، وفي المبحث الثالث القيم البلاغية للقصة ومجالاتها.

المبحث الأول

مفهوم و تعريف القصة

مفهوم القصة في اللغة :

أصل القصة في اللغة: المتابعة، وذلك أن القاص يتبع الخبر بعضه بعضا، قال تعالي "(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)[١]. أي تتبعي أثره. وقال تعالي "(فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً) [٢]. أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر.

والقص : البيان. قال تعالي: "(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) [٣]... أي نبين لك أحسن البيان. ومنه قوله تعالي :" (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [٤]. وقوله تعالي : "(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) [٥].

والاسم منه القص. والقاص من يأتي بالقصة علي وجهها. لأنه يتتبع معانيها وألفاظها. أو هو قاص لانه يقص القصص تباعاً خبرا بعد خبر.

وجمع القاص : قصاص بضم أوله.

وقص الشيء : قطع من باب رد.... واقتصصت الحديث رويته علي وجهه.

والقصة: بالكسر الأمر والحديث والخبر. كالقصص بالفتح، وتجمع علي قصص بالكسر كعنب. وجمع الجمع أقاصيص.

---

[١] سورة القصص :آية ١١.

[٢] سورة الكهف : آية ٦٤

[٣] سورة يوسف :آية ٣.

[٤] سورة الأعراف : آية ١٧٦.

[٥] سورة غافر : آية ٧٨.

مفهوم القصة في الاصطلاح :

يمكن تعريف القصة إصطلاحا: إن القصة عبارة عن مجموعة من الأحداث الجزئية التي تقع في الحياة اليومية للمجتمع مرتبطة ومنظمة على وجه خاص، وفي إطار خاص، بحيث تمثل بعض جوانب الحياة وتجلوها في شتى وجوهها، بغرض الوصول من خلال الوعي الكامل بالأحداث، والظروف الاجتماعية إلى الحقائق الإنسانية، مع عدم إغفال الحرص التام على جانب التسلية والاتباع، وجانب التثقيف والتهذيب[1].

إذن القصة بهذا المفهوم: اللغوي والاصطلاحي يقوم بنيانها، وتشكيل هيئتها على عدة عناصر رئيسة لا يمكن إغفالها وهي:

١. **الحدث أو الأحداث**، وهذا العنصر هو الأساس في القصة، الذي تبنى عليه، بل هو صلب الحكاية أو ما يسمى بالمتن القصصي، ولابد أن تكون أجزاء الحدث متصلة، ووقائعه متلاحمة بحيث يأخذ بيد القارئ أو السامع إلى الأثر الكلي الذي يوحي بأن للأحداث في صلب القصة معنى.

٢. **الشخصيات**، وهذا العنصر تدور الأحداث من خلاله، سواء وقعت منه أو عليه، وشخصيات القصة تتشكل من خلال أحداثها كل ملامحها سواء أكانت شخصيات نامية متطورة، أم شخصية ثابتة جامدة، أو كانت شخصيات رئيسة أو ثانوية، فهي عنصر فاعل في بنية القصة وتكوينها لا يمكن إغفاله.

٣. **البيئة الزمانية والمكانية**، فلابد لكل حدث من شخص أو أشخاص يوقعونه، حسب القاعدة التي تقول: "كل حدث لابد له من محدث"، وإذا توافر الحدث ومحدثه فلابد من زمن يقع فيه الحدث، فليس هناك حدث خارج دائرة الزمن، كما أنه لابد من مكان يقع عليه هذا الحدث، ويتحرك في جنباته محدثه، وهو ما نطلق عليه البيئة الزمانية والمكانية للأحداث داخل بنية القصة.

---

[1] تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، طبعة ٢٦، دار الثقافة، بيروت، ص ٣٩٣ .

٤. **الحبكة القصصية:** ويقصد بها منهج الكاتب في عرض أحداث قصته، والخطة التي يتحرك أبطال قصته على أساسها، وطريقة تنظيم كل ذلك، ومن خلالها لا يحدث الصراع ويتنامى، حتى يصل بالملتقي إلى ما يعرف بالعقيدة، ثم يأخذ بيده تدريجياً في اتجاه الإنفراجية المؤدية إلى الحل، وتمثل الحبكة القصصية الرابط الذي يحكم به نسيج القصة وبناءها معاً، ويجذب المتلقي، ويجعله مشدوداً بكليته مع حركة الأحداث، ولابد للحبكة أن تكون دقيقة، قابلة للتصديق، لا يقوم على المصادفة وحدها.

٥. **الحوار**، وهو ما يحدث بين أشخاص القصة تعبيراً عن جانب من الأحداث والتفاعلات، بحيث يكشف عن الجوانب النفسية للأشخاص، ويفلسف الواقعات، سواء تم ذلك من خلال المشافهة بين أبطال القصة وشخوصها، أو من خلال سرد القاص لما يتردد بين هؤلاء الشخوص، أو كان حواراً وثائقياً تتحدث فيه الوثائق المكتوبة مثل الرسائل والوصايا، أو الأخبار المنشورة...الخ.

٦. **أسلوب القاص وطريقة عرضه**، وهذا عنصر شديد الأهمية لأن الأسلوب إذا كان ركيكاً مفككاً جاءت القصة مهلهلة النسج، غامضة المعاني وكذلك طريقة العرض إذا لم تكن جيدة منظمة، جاءت الأحداث مختلطة متداخلة لا تغري القارئ بالمتابعة المستمرة، وسرعان ما يصاب بالملل لكثرة ما سيلقاه من تعقيدات وغموض بسبب هذا الخلط والتداخل[١].

---

[١] دراسات في القصة والمسرح "محمود تيمور" دار المعارف –القاهرة.

المبحث الثاني

الدور الأدبي للقصة ومجالاتها

تمهيد: إن منطلق أي فرد أو أمة إنما ينبعث من خلال ما يحملونه من أفكار، وسلوك أي فرد أو أمة إنما يكون ترجمة عملية لما يحملونه من أفكار، فالأفكار هي الخطوة الأولى في عملية التربية الفردية أو الاجتماعية، ومن ثم التغيير الإيجابي للأفضل.

أولاً: الفكرة:

ما من قصة إلا وتقوم على فكرة يوصلها إلينا القاص والقاص البارع هو من يوصل فكرته إلينا بطريقة غير مباشره ويجعلها تتسرب إلى عقولنا مع تيار الأحداث وتتابع حوادث القصة. والفكرة هي التي تؤثر على القاص وتجعله يوجه الأحداث والشخصيات توجيهاً خاصاً يؤدي في النهاية إلى توضيح فكرته[١].

وبالعكس اذا اعتنى القاص بالفكرة وتوصيلها فانه قد تقل عنايته بالأحداث والشخصيات. وعندئذ لا نحس بطبيعة سير الأحداث والشخصيات بل نشعر بتوجهها قسراً وفق إرادة الكاتب وهذا يخل بجمالية القصة ومدى تأثيرها[٢].

ثانياً الحوادث :

هي المواقف والأفعال التي تفعلها شخصيات القصة وأهمية هذا العنصر تظهر في أن لأي قصة أحداث أو حدث تبنى عليها وتسرد من هذه الأحداث أقوال وأفعال تؤدي في النهاية إلى جمال القصة وإظهار فكرتها.

---

[١١] فروخ، عمر، ابن طفيل وقصة "حي بن يقظان"، سلسلة دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط٢، د.ن –بيروت ١٩٥٩م، ص١٣.

[٢] عبد الهادي التازي، ابن طفيل الشاعر الحماسي، مقال منشور في العدد الخاص عن ابن طفيل من مجلة الطريق، ينايروفبراير ، بيروت ، ١٩٦٢م، ص ٧٣.

والأحداث في القصة تنقسم إلى قسمين:

١- أحداث رئيسية:

وهي الحوادث التي تكون منعطفاً في القصة وقد تكون حدثا واحدا تدور حوله القصة بكاملها ويسمى بالحدث المحوري للقصة[١].

٢- حوادث ثانوية:

وهي حوادث صغيرة تمثل حركات الشخصيات التي تعد من تفاصيل وجزئيات الحياة التي لابد منها وتدور هذه الأحداث الثانوية كلها حول الحدث أو الأحداث الرئيسية.

مصادر الحوادث:

هناك ثلاثة مصادر للحوادث في أي قصة:

١- الواقع:

فإذا كانت القصة مصدرها هو الواقع فيجب مراعاة جو القصة الواقعي الذي تصوره وتبني أحداثها عليه فلا يخرج عن هذا الأساس فلا يمكن له أن يستخدم حدث خيالي مع أن القصة تتحدث عن واقع يعيشه الكاتب والقارئ.

وواقعية الأحداث ليس بمعناه أن تكون القصة قد حدث فعلاً ولكن واقعيتها تكمن في أنها ممكنة الحدوث[٢].

---

[١] عبد الهادي التازي، مرجع سابق ، ص ٨٥.

[٢] سليم ريدان، ظاهرة التماثل والتميز في الأدب الأندلسي ــ منشورات كلية الآداب بمنونة/ تونس ٢٠٠١ ــ ج٢ ، ص٩٥.

٢- التاريخ:

في هذه القصة يكون مصدرها التاريخ والأحداث التاريخية ويستفيد الكاتب من المؤرخين والتحقيقات التاريخية في قصته ويجب أن يكون الكاتب ملتزما وصادقا بها ليعطي لقصته المصداقية والقبول. وهذه تتطلب الدقة في البحث والتقصي وراء الأحداث وتاريخها .

٣- الخيال:

وهنا تكون حوادث القصة خيالية أي أحداث لا يمكن أن تحدث أو بعيدة الحدوث ويرجع النقاد إلى سبب الاهتمام بها لما تتميز به من الطرافة والجاذبية.

ويأتي تحت هذا المسمى الأساطير لدى الشعوب والتي دونوها في قصصهم وأخبارهم وأيضا قصص الحيوانات والخيال العلمي وغزو الكواكب وغيرها.

طريقة عرض الحوادث:

هناك طرق لعرض الحوادث منها:

١- أسلوب ضمير المتكلم:

وفي هذا الأسلوب يجعل الكاتب بطل القصة هو الذي يحدث عن نفسه وأعماله التي يقوم بها وتكون هي أحداث القصة فيعيش القارئ مع البطل من بداية القصة ويتعرف عليه مباشرة وميزة هذا الأسلوب هو الربط بين القارئ وبين بطل القصة وأحداثها المتعلقة به.

٢- أسلوب ضمير الغائب:

وهذا الأسلوب يقوم على السرد فكل الأحداث مجتمعة في عقل الكاتب ويقوم هو بدوره في توزيعها وتوزيع الأدوار حسب فكرة وطريقته وكيفما يراه مناسبا في حركات وأحداث القصة . وأكثر القصص تميل إلى هذا الأسلوب[١] .

ثالثاً الشخصيات:

الشخصيات هي التي تقوم بأدوار القصة وتؤدي أحداثها وحركاتها ومواقفها المتعددة.

أقسام شخصيات القصة

١- شخصيات رئيسة:

وهي التي تقوم بأكثر الأدوار في حوادث القصة وتظل في دائرة الأحداث أطول وقت ممكن وهي أيضاً الشخصيات التي يسهب الكاتب في إبرازها وإبراز مواقفها وتحليل مشاعرها. وقد تكون عدة شخصيات وقد تكون شخصية واحدة .

وغالباً ما تكون تركيبة او طبيعة تلك الشخصيات مركبة وليست بسيطة لأنها في الغالب تمر بظروف مختلفة ولها مواقف متعددة ومختلفة ومتضادة في بعض الأحيان . والشخصيات الرئيسة تستأثر باهتمام الكاتب والقارئ في نفس الوقت .

٢- شخصيات ثانوية:

وهي شخصيات تقوم بأدوار ثانوية أو هامشية في أحداث القصة ويكون الغرض من وجودها إكمال الصورة. ودفع الشخصيات الرئيسية إلى مواقف معينة. وإظهار جوانب معينة من حياتها أو شخصياتها. والإسهام في تطوير الأحداث ودفعها للإمام. ووصف هذه الشخصيات بأنها ثانوية لا يعني بأنها عديمة الفائدة بل هي في مجملها ضرورية للعمل القصصي.

---

[١] سليم ريدان، مرجع سابق، ص١٢٣

أنواع الشخصيات حسب الجمود والنمو:

١- الشخصيات النامية:

هي الشخصيات التي تظهر مع أحداث القصة ومع مرور هذه الأحداث وتمر في تغيرات كثيرة وتنتقل مع أحداثها ومواقفها تبعاً لإيقاع الحركة والأحداث في الحياة[١].

فنراها تتحول من حال إلى حال ومن موقف إلى موقف.

٢- الشخصيات الثابتة:

ويطلق عليها النقاد الشخصيات النمطية أو الجاهزة وفي الغالب أن الشخصيات الثابتة هي شخصيات ثانوية تؤدي وظيفتها في إضاءة جانب من جوانب الشخصيات الأخرى. وقد يوكل لها عمل ما في القصة ثم تتوارى عن الأنظار.

طرق تصوير الشخصيات:

يختلف تصوير الشخصيات من الرسام والمصور التلفزيوني عنه في الكاتب القصصي حيث يستخدم هذا الأخير الكلمات في رسم شخصياته وأبطال عمله القصصي لذلك يحتاج إلى الكثير من المهارة للاستفادة القصوى من خصائص الكلمة.

طرق تصوير شخصيات القصة

١- الطريقة الإخبارية:

وتمثل الأسلوب المباشر الذي يعتمده الكاتب لتصوير شخصيته فيذكر أن هذه الشخصية غنية أو فقيرة قوية أو ضعيفة جاهلة أو متعلمة وهكذا.

كما يصف الأشياء المتعلقة بها من أوصاف أو تركيبة نفسية أو طريقة تعامل وهكذا ....

---

[١] المرصفي، محمد علي، مرجع سابق، ص ٥٨.

وميزة هذه الطريقة أنها تسرع في تقديم الشخصية للقارئ مما يساعده على فهمها ومعرفتها مبكراً وتوقعه لما يمكن أن يصدر منها ويعاب على هذه الطريقة أنها قد تقطع مسيرة التتابع والتدفق في أحداث القصة.

٢- طريقة الكشف:

وهو الأسلوب غير المباشر. وهذا الأسلوب يجعل الأحداث هي التي تكشف عن الشخصية وتصورها للقارئ وذلك عن طريق تصوير الأفعال والأقوال التي تصدر من الشخصية ويكون عن طريق الحوار بين الشخصيات فنفهم من سياقها صفة أو أكثر عن هذه الشخصيات.

وهذه تعطي للقارئ لذة في اكتشاف الشخصيات وأبعادها[١].

إلا أن من عيوبها أنها تبطئ القصة وقد ترهلها بأحداث جانبية لا قيمة لها.

كما لا يمكن أن نفضل طريقة على الأخرى. فالقصة تحتاج إلى الأسلوبين معاً ومن غير المعتاد أن تعتمد القصة على أسلوب واحد في تصوير شخصياتها ولكن قد يكثر استخدام أسلوب على حساب الآخر.

كما أن تصوير الشخصيات الرئيسية بالذات يحتاج فيه الكاتب إلى كلا الأسلوبين .

رابعاً الحبكة القصصية:

ونعني بالحبكة القصصية ترتيب الأحداث ترتيبا معيناً.

---

[١] المرصفي، محمد علي، مرجع سابق ، ص ٣٨.

وأقسام الحبكة القصصية من حيث التماسك أو عدمه:

١- الحبكة المتماسكة:

وهي الحبكة التي تكون أحداثها متصلة ببعضها اتصالاً وثيقاً بحيث يكون كل فصل من القصة أو حدث نتيجة للفصل السابق وغالباً ما تظهر الحبكة المتماسكة في قصص التي يكون بطلها شخصا واحدا لأن التركيز على شخص واحد في القصة أو شخصية واحدة تعطي الفرصة لترابط الأحداث وتماسكها كالقصص البوليسية مثل قصص (أجاثا كريستي).

وعيوب الحبكة المتماسكة أنها قد تؤدي إلى التكلف أو الافتعال وقد يقل فيها عنصر الإثارة وحوافز التغير وقد تدفع القارئ للملل والفتور.

٢- الحبكة المفككة:

وليس إطلاق كلمة مفككة ذماً أو إنقاصا من قيمتها بل لأنها تقابل كلمة (متماسكة) ونعني بالحبكة المفككة هي التي يكون بها عدد من الأحداث مرتبط بعدد من الشخصيات يربط بينهم عنصر معين كالمكان أو الزمان أو الشخصية الرئيسية في القصة أو حدث رئيسي في القصة أو غير ذلك[١].

وعيوب الحبكة المفككة أنها تسبب التشتت وقد تجعل القاص ضعيفاً في الربط بين الأحداث.

أقسام الحبكة من حيث الشكل والبناء:

١- الحبكة المتوازية:

وهي أكثر الأنواع شيوعاً في القصة والحبكة المتوازية هي تلك الشبيهة بالبناء الهرمي وهو يماثل تماماً (هرم فرايتاج) المسرحي.

وهي كالتالي:

---

[١] د. الطاهر مكي "في الأدب المقارن، دراسات نظرية وتطبيقية" دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧، ص ٣٧.

البداية ثم صعوداً يمثلها الحدث الصاعد مروراً بالأزمة ثم في رأس الهرم العقدة ثم الحدث النازل إلى الحل ثم النهاية.

٢- الحبكة الحلقية:

وهي تمثل بناء آخر للقصة يقوم على وجود عدد من المشكلات التي تعترض الشخصية الرئيسية ويتغلب عليها واحدة تلو الأخرى وهكذا حتى نهاية القصة.

وبناؤها على شكل حلقات على الشكل التالي:

المشكلة --- الحل --- المشكلة --- الحل – المشكلة --- الحل ..

وقد يبني القاص قصته هذه وهو يعدها لكي تمثل في حلقات إذاعية أو تلفزيونية.

٣- البدء من نهاية القصة:

قد يكون بناء الحبكة قائما على البدء من نهاية القصة ثم الرجوع إلى الخلف حتى تتكشف الإحداث والوقائع الأخرى والشخصيات المرتبطة بها وهذا النوع ابتدأ في السينما ثم انتقل إلى الرواية[١].

عناصر الحبكة:

١- البداية:

وهي المرحلة الأولى لمواجهة القارئ فلابد أن تتضمن ما يشجع هذا القارئ على الاستمرار في قراءة القصة. لأن البداية الضعيفة للقصة ستكون سبباً في ترك القارئ لها وانصرافه عنها.

٢- الصراع (التدافع):

وهو الذي يولد حركة الأحداث والوقائع في القصة والمقصود هو وجود ما يسبب بناء الأحداث للقصة وهذا الصراع أو التدافع يكون له أوجه عديدة وأشكال متنوعة فقد يكون الصراع داخلياً

---

[١] مكي، الطاهر "في الأدب المقارن، دراسات نظرية وتطبيقية" دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧، ص ٣٨.

في نفس إحدى الشخصيات أو قد يكون الصراع بسبب عوامل مثل الطمع والخوف والبطولة والتضحية والطموح وربما الجريمة وغير ذلك من العوامل.

٣- العقدة:

وهي المشكلة الرئيسية في القصة وتنشأ بفعل الأحداث الصاعدة حيث تتأزم الأمور ويتحول موقف البطل إلى حالة من الضعف والخوف.

٤- الحل:

وهو الحدث الذي يكون سبباً في حل العقدة جزئياً أو كلياً ولابد أن يكون الحل مقنعاً متناسباً مع أحداث القصة.

ويلجأ بعض الكتاب إلى أنماط الحلول البسيطة ومنها:

أ- أن يجعل الشخصية الرئيسية تستيقظ من النوم ويكون كل ما رآه من مشكلات حلماً من الأحلام.

ب- أن ينهي بعض شخصيات القصة بالموت ليسهل عليه تقديم الحل المناسب.

ج- أن يعتمد مبدأ المصادفة وحدها لكي يحل المشكلة التي وقعت فيها الشخصيات ولا شك أن مستوى وجود المصادفة في حياتنا أمر قليل الحدوث لا يصح التعويل عليه في حل عقدة القصة أما القليل جداً من المصادفة في القصة فلا مانع منه بحيث تبدو المصادفة طبيعية تسوغها أحداث القصة.

٥- النهاية:

وهي آخر شيء في القصة وقد تتضمن النهاية عنصر الحل وقد تأتي بعده لتصور أثر ذلك الحل على شخصيات القصة وكما في بداية القصة يجب أن تكون مثيرة وملفتة فيجب على الروائي أو القاص أن يجعل نهايتها مثيرة ويضمنها عنصراً مفاجئاً يجعل القارئ معجباً بها ويجعل هذه النهاية عالقة في ذهنه.

خامساً الزمان:

تتحرك القصة في خطين متعامدين يحددان موقع الحدث وهما الزمان والمكان.

ويمكن أن تدور أحداث القصة في الماضي بالعودة إليه والعيش فيه عبر الأحلام والذكريات او الحاضر في دقة وصفه تظهر واقعيته.

أو المستقبل باستشرافه وتصوير الحياة المتوقعة فيه .ويتميز عنصر الزمن في القصة بقدرته على نقل الأحداث والأشخاص من حال إلى حال وإحداث تغييرات كبيرة في بيئة القصة.

والزمن في القصة ينقسم إلى:

١- الزمن الواقعي:

حيث يجري القاص أحداث قصته في إطار زمني محدد تحكمه قوانين الزمن الصارمة وتتسلسل الحوادث فيه تباعاً نظراً لوجودها الزمني من البداية إلى النهاية .والزمن عنصر مهم من عناصر الواقع الذي يجب مراعاته في رسم الشخصية أو وصف البيئة فالقاص يدرك أن لكل زمان طبيعته وظروفه وخصائصه التي يجب مراعاتها[١].

٢- الزمن النفسي:

ونرى فيه جانباً مغايراً للزمن الواقعي حيث تصبح اللحظة الواحدة بسبب الألم مثلاً أو لهفة الانتظار شيئاً آخر لا يمكن أن يحسب بالدقائق أو الساعات أو الأيام.

ومثل ذلك لحظات التأمل والتذكر التي تتداعى فيها ذكريات سنوات متعددة في وقت وجيز.

سادساً: المكان:

المكان هو الميدان الذي تقوم عليه أحداث القصة ويجب على القاص حسن اختيار المكان وإجادة استثمار محتوياته ومكوناته.

---

[١] مكي، الطاهر "في الأدب المقارن، دراسات نظرية وتطبيقية" دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٧، ص٥٩

وتنبع أهمية المكان في استخدامه عنصراً كاشفاً لمشاعر الشخصية القصصية وأحاسيسها.

ويفصح الكاتب عن مكان القصة وزمانها بشكل مباشر وقد يترك ذلك للأحداث.

سابعاً: الحوار:

يؤدي الحوار دوراً أساسياً في تنمية أحداث القصة وتصعيدها فمن خلال الحوار ينشأ الحدث القصصي أو جملة الأحداث كما أننا من خلاله نعرف سمات الشخصيات وخصائصها التي تتميز بها وتتميز اللغة القصصية بالسهولة والبساطة لأنها تحاول أن تقترب كثيراً من واقع الأحداث ومن واقع القارئ أيضاً[1].

واقعية الحوار:

لا خلاف بين كتّاب القصة في استخدام اللغة العربية الفصحى في السرد والوصف والتحليل داخل القصة أما الحوار فإن عدداً من أولئك الكتاب يرى أنه من الممكن أن يكون بعض منه بالعامية. لكن التجربة أكدت أن اللغة العربية في مستواها المتوسط البعيد عن الغرابة والغموض قادرة على التعبير الواقعي المناسب دون حاجة إلى اللهجة العامية.

كما يجب على القاص أن يضفي على واقعية الحوار السمات الواقعية الدالة عليه مثل الغضب والرضا والحزن والسعادة ورفع الصوت وتخفيضه وهكذا.

---

[1] د. الطاهر مكي ، مصدر سابق ، ص ٦٢

المبحث الثالث

القيم البلاغية للقصص

تمهيد : عرفت البشرية القصص والحكايات منذ فجر التاريخ لحاجة الإنسان للتعبير اللغوي عن أحواله وتجاربه. وكانت الحكايات الخرافية النمط الأول للقصص الذي عرفه الناس وتداولوه بالرواية شفويا. وكان القص والقصاصون المحطة التي يستريح فيها المجتمع الإنساني ويتخفف عندها من أعبائه ومسؤولياته، فيلقي في سياق القصص همومه وأشواقه، وتجارب الآباء، وآمال المستقبل. لذا عرفنا نوعين من القصص خيالي وحقيقي، أما الخيالي فلا يكون لشخصياته وجود حقيقي إنما يرسمها الكاتب ممتطيا صهوة الخيال، وهو سمة القص الفني السائد بأشكاله التعبيرية المتعددة من قصص رومانسي يصور بطولات الفرسان ويقف عند العلاقات الإنسانية المتميزة بالخلق السامي والمثل النبيلة، أو قصص اجتماعي يرصد فيه الكاتب قضايا المجتمع ، أو قصص الخيال العلمي الذي يرسم عالما خياليا بحتا بشخصيات وكائنات وأدوات لا تمت إلى الواقع بصلة. وكثير من المخترعات كان قصص خيال علمي ثم وجد طريقه إلى نور الواقع.

أثر القصة في النفوس:

لقد جاء القرآن الكريم داعيًا إلى الهداية والرشاد، بأساليبَ شتى؛ فتارةً بالوعد والوعيد، وتارة بالإقناع العقلي، وتارة ثالثة بوخز الضمير والوجدان، ورابعةً بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها، وخامسة بالإعجاز بشتى ألوانه، وأحيانا كثيرة: بأسلوب القصص، الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان، وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيه، وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة، وكأنه أحد أفرادها، بل وكأنه هو "بطل القصة" أو" الشاهد "فيها، فيَرَى من خلالها كلٌ من الصالح والطالح ما في نفسه من أحاسيس، وما في خَلَده من أحاديث، وما يجري حوله من أحداث وحوار.. كل ذلك من خلال تجاوبه مع القصة.. فالقصة ــ لا سيّما إن كانت بأسلوب شيّق، وبيان رائق ــ لها من التأثير والجاذبية مالا تبلغه أيٌّ وسيلة أخرى من الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية، فكيف إذا كانت بأسلوب ربانيٍّ معجز، له من الواقعية والصدق ودقة التصوير، ومِن السِمَاتِ ما ليس لغيره.

ولو أننا قمنا بمقارنة سريعة بين أحدث المناهج التعليمية والتربوية اليوم.. لوجدنا أن أكثر المناهج نجاحا في عرض الفكرة أو صياغة المادة العلمية بأسلوب قصصي جذاب هي أكثرها نجاحا وأينعها ثمارا.. لأنها تكون حينئذ أحب إلى قلب الطالب، وأقرب إلى فطرته، وأسهل عليه حفظا وفهما، وأدعى لتلقيها بدون أيّ مشقة أو ملل[1].

ولذلك كانت القصة ولا تزال مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحابُ الرسالاتِ والدعواتِ، والهداةُ، والقادةُ، إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم، ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه، من آراءَ، ومعــتقداتٍ، وأعمالٍ[2] ولقد أصبحت الفنون كلهـــا اليوم من وراء القصة.

أشكال الأدب القصصي :

لقد ظهرت الأشكال الكلاسيكية للأدب القصصي في الفولكور. وهذا يخص بالدرجة الأولى الحكايات والأدب الملحمي البطولي. فقد تكونت أهم ملامح الأصناف المشار إليها خلال الفترة السابقة على وجود الأدب المكتوب ، كما كانت مشروطة – جزئياً – بنوعية الوجود الشفاهي نفسهاً – وتتسم الخصائص الاستيتيكية لمختلف أشكال الأدب القصصي الشعبي بعلاقاتها المباشرة بالأيديولوجية الشعبية ، وآمال وتطلعات الشعب.

ويغور الأدب الشعبي. بجذوره الى أعماق الفولكلور القصصي للمجتمع الماقبلطبقي . ويظهر هذا من خلال المحافظة على الموتيفات والأساليب القديمة جداً والخاصة بالفن القصصي وحسب ، بل ومن خلال حقيقة أن التصورات القانونية والأخلاقية ذات الطابع المثالي والخاصة بنظام المشاعة البدائية ، قد لعبت دوراً صياغة (المثل) القصصية.

وفي موضوعنا للأدب القصصي الشعبي سنولي اهتماماً كبيراً لأبطال هذا الأدب هؤلاء الحملة المباشرون للفعل القصصي ، والمعبرون عن المثل الأعلى للشعب.

إن وضع البطل في الطليعة لا يعني تقليلاً من أهمية الموضوع الذي يلعب دوراً هاماً جداً في الإبداع

---

[1] مكي، الطاهر ، مصدر سابق، ص ٢٥٠.

[2] فروخ، عمر، مصدر سابق ، ص ١٦٤.

القصصي الشعبي ، حيث يعبر عن كل التغيرات التي تطرأ على بناء الصورة التبسيطية جداً من حيث المبدأ، وذلك بالدرجة الأولى من خلال الموضوع الذي يشكل الركن الراسخ للعمل الفولكلوري .

ورغم أن الصورة البشرية تعتبر مركزاً أساسياً لكل عمل تقريباً خاص بفن القول ، بما في ذلك العمل القصصي، رغم ذلك فإن من النادر جداً أن ينظر إليها على أنها عامل من عوامل تكوين الموضوع في الأدب القصصي الشعبي . وفي أثناء ذلك ، وبسبب التبسيطية بالذات وسعة التناول ، وطغيان النمطية على مبدأ إبراز الخصائص الفردية عند صور الانطباع القصيين ، تكون نماذج الإبطال شبية ببعضها جداً في حدود ضرب صنفي واحد ، بينما تتميز هذه النماذج عن بعضها بصورة حادة حسب اختلاف الأصناف الأدبية ، بكلمة أخرى ، هناك علاقة تنطوي على معنى واحد تربط بين نموذج البطل وبين الضرب الصنفي للأدب القصصي الشعبي:

السلف الأول – (البطل المثقف) في الأدب القصصي الميتولوجي ، والبطل الخرافي (الذي تعقد عليه الآمال) الغريب الأطوار في الفولكور ... وفي الوقت نفسه تلتقي دائماً الموضوعات المتشابهة في مختلف الأشكال الصنفية يعد الأدب القصصي المينولوجي أهم ظاهرة للفولكلور القصصي في عهد النظم الاجتماعية البدائية . كما يُعد التماسك الأيديولوجي البدائي مقدمة منطقية للأدب القصص الميثولوجي – هذا التماسك المتمثل في تشابك واندماج أجزاء الأشكال الجنينية للفن ، والدين والتصورات الماقبلعمانية حول الطبيعة والمجتمع . وبعبارة أخرى فالميثولوجيا هي عبارة عن ((الطبيعة ونفس الأشكال الاجتماعية التي تعاد صياغتها من قبل المخيلة الشعبية بصورة خفية غير واعية.

أما نموذج البطل الأصلي – البطل المثقف – الشخصية المركزية في الأدب القصصي الفولكلوري البدائي وفي القصص الفولكلوري في المجتمع الماقبلطبقي عموماً ، أصبحت هذه الشخصية المرتبطة وراثياً بالميثولوجيا الاستيتيكية (الحزينة أحياناً بملامح طوطمية) الخاصة بأصل مختلف عناصر الطبيعة ، والثقافة ، والمؤسسات الاجتماعية ، أصبحت بالتالي مركز انجذاب والتفاف لا للأساطير فقط ، بل وحتى لا قدم الخرافات والقصص البطولي[1].

وهكذا ضم القصص الميثولوجي مختلف أنواع العناصر . زد على ذلك أن هناك ما يبرر المحافظة على

---

[1] عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ص٩١.

اصطلاح (الأدب القصصي الميثولوج) . كلما جرى الحديث عن الشخصية الميثولوجية النموذجية وفي مجتمع بدائي ليس بمستطاع غير الشخصية الميثولوجية الاضطلاع بدور البطولة) لسبب بسيط هو أن هذه الشخصية هي الشخصية الوحيدة التي امتلكت الحرية الضرورية للمبادرة فضلاً عن ذلك فقد تعين على البطل القصصي أن يجسداً القيمة البشرية لقوى الطبيعة . أما النموذج السلف البطل المثقف فقد عُده فعلاً تجسيداً بشرياً لنوع القبلية عموماً ولقدرتها ونشاطها الذاتي .

هكذا كان طابع النمذجة في هذه الشخصية : النموذجي على اعتباره تشخيصها للجماعة يتميز الأدب القصصي الميثولوجي جذرياً عن الخرافي وذلك من حيث تصويرهُ للمصير الجماعي دع عنك أن ذلك يتم بشكل من الشعوذة ، لقد كان إضفاء المثالية على البطل المثقف موجهاً ، بالدرجة الأولى ، الى المبادرة الإبداعية التي كان يفتقر إليها عضو المشاعية القبلية ، وعلى اعتباره قاهراً للغيلان فقد اقترب البطل المثقف من البطل الملحمي بدرجة ملحوظة.

ويقترب الأدب القصصي المينولوجي من سلسلة في النقاط الهامة ، من الأدب القصصي البطولي - هذا الأدب الذي يشكل موضوعه لا المصير الشخصي بل المصير العام للقوم . والذي يتسم بمفهوم ما عام يخص ماضي القبيلة . أن السلسلة الكبيرة للموضوعات المتنوعة التي تدور حول هذا البطل الأول في الأدب القصصي العالمي ، هذه السلسلة تعتبر السمة المشتركة العامة مع الملحمة الطويلة ومع ذلك فإن عدداً من الحالات الجوهرية هي التي تقيم حداً فاصلاً بين الأدب القصصي المينولوجي والأدب الملحمي البطولي.

وإذا ما تركنا الحديث عن الشعوذة الميثولوجية بخصوص ماضي الشعب جانباً فإن الأدب القصصي مفعم بنكهة الصراع ضد الطبيعة ، وحتى العلاقات الاجتماعية تبرز في هذا الأدب على اعتبارها علاقات مع الطبيعة ، وبالإضافة الى ذلك فإن كلاً من الخلفية القصصية وصورة البطل الرئيسي تفتقر الى الوحدة والتكامل كما أنه لم يجر التمييز بين مختلف العناصر الخاصة بالبطل والمتناقضة مع بعض والخالق ، والمكافح ضد الغيلان، والشقي ، التي تتلاءم مع مختلف العناصر الخاصة بهذا الصنف الأولي أو ذاك ، والتي يصاغ منها ، بطريقة ميكانيكية جداً أحيانا ، فالأدب القصصي الميثولوجي فما هو بطولي لا يتمازج حسب مع ما هو كوميدي ، بل وأن إضفاء الصفات المثالية على ما هو بطولي يعتبر اتجاها قديماً جداً، ويبرز كل من السحر والمكر في الغالب على أنها صفتان ((بطوليتان

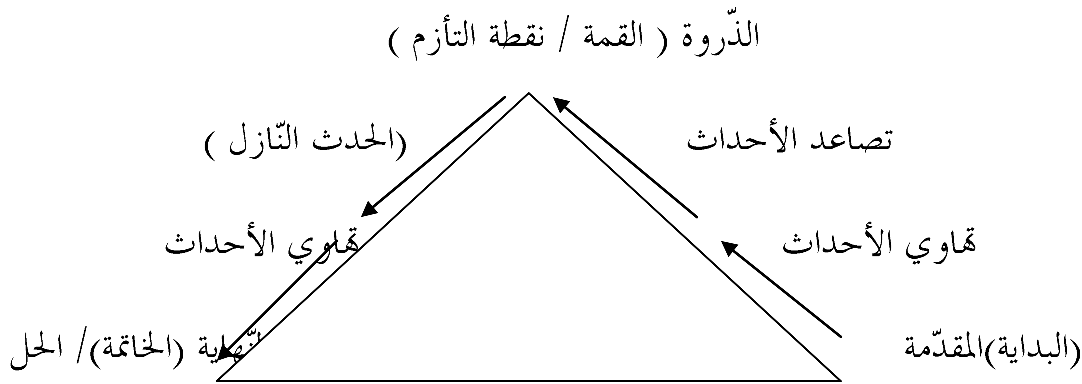
)) فالقوة السحرية تتغلب على القوة الجسدية وفي هذه المرحلة لم يظهر بعد ((الطابع البطولي)) للعملاق[1].

البناء القصصي :

البناء هو الطّريق الّتي تسير عليها القصّة لبلوغ هدفها.

الحبكة: هي البناء التي تسير عليه أحداث القصّة، فهي مجموعة الحوادث مرتبة ترتيبا زمنيا، يقع التّأكيد فيها على الأسباب والنتائج، وتتابع الأحداث يوصل إلى نتيجة قصصية تخضع لصراع ما وتعمل على شدّ القارئ.

مراحل الحبكة (البناء):



المقدّمة (البداية):

من خلالها نعرف ما سيأتي، وهي تعيّن مكان وزمان الحوادث والشّخصيّة[2].

الحادثة الأولى (الحركة الصاعدة/ تصاعد الأحداث):

من خلال الحادثة الأولى ينطلق الكاتب لبناء قصّته، ومن ثمّ تبدأ الحوادث بالصعود.

---

[1] عباس، حسن محمود، "حي بن يقظان" وربنسون كروزو – دراسة مقارنة، ص ٥٠.

[2] عبدالرحمن، عائشة (قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر)، ط٢ دار المعارف، ١٩٧٠م، ص ٤٦

ذروة (العقدة / الأزمة):

هي المرحلة الأكثر تعقيدًا في تطور الأحداث. وهي النقطة الحاسمة المشحونة التي تحتاج إلى تفجير، فبعد تركيب الأحداث نصل إلى لحظة معقّدة ولا بدّ بعدها من الكشف والتنوير، وهي نقطة التّحوّل في القصّة وتعتبر بداية تمهّد للحل. والذّروة ليس لها مكان محدد في البناء الأدبي فقد تكون في وسطه أو في خاتمته.

تذكر العقدة إن كان في القصّة مشكلة أو تذكر ذروة الأحداث.

هبوط الأحداث (تهاوي الأحداث):

هي الأحداث الّتي تزيل العراقيل شيئًا فشيئًا وتنجلي بعدها النهاية (الحل).

تذكر كيف بدأت الأحداث بالنّزول للوصول إلى الحل أو النّهاية.

الحل الحاسم (النهاية):

هو نهاية هبوط الأحداث بعد وصولها إلى ذروة التأزّم، ويتمثل في وقوع الفاجعة إذا كانت القصّة مأساة (تراجيديا)، أو في نهايتها السّعيدة إذا كانت ملهاة (كوميديا)[1].

تذكر فيها: كيف كانت نهاية القصّة: نهاية سعيدة / نهاية محزنة / الحل كان مأساويًّا / لم يكن حل وإنما القصّة مفتوحة.

[1] عبدالرحمن، عائشة، ص ٦٥

الفصل الثاني

الخلفيات البلاغية لقصة ابن طفيل الأدبية

- المبحث الأول: الصورة البلاغية في قصة ابن طفيل
- المبحث الثاني: الصورة البلاغية في مدخل القصة وخاتمتها.

الفصل الثاني

الخلفيات البلاغية لقصة ابن طفيل الأدبية

تمهيد وتقسيم: إن الفن القصصي نوع من أنواع الأدب المرن الذي يجمع مزايا الشعر كالخيال والعاطفة إلى جانب مزايا النثر كالدقة والاستقصاء والفائدة العلمية فهو متعدد الأغراض متنوع الأهداف مثلا الرواية التاريخية تدور مواضيعها حول تاريخ الأمم وحياة الملوك والرواية الاجتماعية تصور حياة الفرد والأسرة وكل هذا باعتبار أن الرواية نوع من أنواع الفن القصصي.

سوف نتناول في هذا الفصل الصور البلاغية لرائعة بن طفيل "حي بن يقظان" على مبحثين اثنين نتناولهم على النحو التالي:

- المبحث الأول: الصورة البلاغية في قصة ابن طفيل
- المبحث الثاني: الصورة البلاغية في مدخل القصة وخاتمتها.

المبحث الأول

الصورة البلاغية في قصة ابن طفيل

تمهيد : سعى ابن طفيل في قصته هذه إلى تقصي سيرة المعرفة الإنسانية والكشف عن الحقيقة بطريقة فنية أدبية اتسمت بالروعة والطرافة في البناء وجمال الوصف والسرد القصصي الذي يعتمد التشويق والإثارة والحوار الداخلي الأخاذ ، ويتوصل حيّ إلى معرفة الحقيقة ، ويتعرف على النواميس الطبيعية وأسرار الحياة والكون عن طريق الملاحظة والتأمل الواعي ، والمشاهدة والتطلع الدائم، والتجربة والعقل ، وتترابط أحداث القصة بأطوار الاكتشاف ومختلف حلقات المعرفة الإنسانية.

حيث تبدأ بموت الظبية سلسلة من الأزمات والمفاجآت، تتلاحق وتترابط مع أطوار حياة حيّ ونموه وتساؤلاته الهادفة إلى الحصول على المعرفة، والكشف عن الحقيقة، والتعرف على أسرار الحياة والكون بدءاً بالتساؤل عن سبب وفاة الظبية فاكتشافاته المختلفة المتعلقة بحياته في الجزيرة وتسخير الطبيعة لفائدته ، ثم لقائه بأسال وزيارته وأسالَ لجزيرة أسال، وكان في كل مرحلة من هذه المراحل يشاهد عائقاً ويكشف حقائق ويستقر على رأيٍ ويزداد اطّلاعاً ومعرفة.
غلبة اللغة القرآنية على ابن طفيل في السرد

يعترف ابن طفيل في التمهيد لروايته "حي بن يقظان" باستفادته من ابن سينا الفيلسوف الطبيب، خاصةً في مجال اختيار الأسماء "حي بن يقظان، آسال...." لكن ابن سينا اتبع طريقة المتصوفة في الرمز، فـــ"حي" يقصد به العقل الفعال، و"ابن يقظان" كناية عن صدوره عن القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وهي رحلة ترمز إلى طلب الإنسان المعارف الخالصة بصحبة الحواس والعقل، وإن كان يحذر من رفقة الحواس.

وبذلك يمكننا القول إن "حي بن يقظان" عند ابن سينا كتاب في الفلسفة والتصوف استفاد منه ابن طفيل ليضيف عليه البنية السردية، ليأتي الفكر الفلسفي بطريقة أكثر جاذبية وربما أكثر إقناعا، لذلك نلاحظ شخصياته تميزت بالحيوية، إذ لم تعد الشخصية مجرد اسم يحمل فكرة، وإنما بدأنا نجد أمامنا كائنا بشريا له أحلامه التي تتعدى عالم المحسوس بكل ماديته، باحثة عما وراء الطبيعة عن حقيقة هذا الكون الذي نعيش فيه.

صحيح أن ابن طفيل إنسان بدائي، اهتدَى إلى الإيمان عبر معاناة ذاتية لكن لغة الراوي كانت متقدمة على بدائية الشخصية، فبدت تحمل ملامح إسلامية واضحة، خاصة في شيوع التناص القرآني في لغتها السردية، مما يؤسس بنيتها الفكرية وجماليتها اللغوية، لنتأمل هذا المقطع "وتصفح طبقات الناس بعد ذلك، فرأى كل حزب بما لديهم فرحون قد اتخذوا إلههم هواهم ومعبودهم وشهواهم، وهالكوا في جمع حطام الدنيا، ألهاهم التكاثر حتى زاروا المقابر لا تنجح فيها المواعظة ولا تعمل فيهم الكلمة الحسنة.

نلاحظ في هذا المقطع سطوع لغة القرآن الكريم، حتى إنها تكاد تشكل صلب هذا المقطع، فنلاحظ أن ابن طفيل ينقل ألفاظ الآية القرآنية كما هي، وإن كان قد حذف الجزء الأول منها: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[1].

هنا اقتصر على إضافة فعل "رأى" للسياق السردي، وقد نجده يحور الآية تحويرًا بسيطًا فتتحول صيغة الغائب المفرد في الآية: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا}[2] إلى صيغة جماعة الغائبين بعد أن حذف الجزء الأخير من الآية، أما الآية الأخيرة فقد تحولت من صيغة جماعة المخاطبين "سورة التكاثر آية ١، ٢" إلى جماعة الغائبين، وبذلك يتم التحوير وفق مقتضيات سردية تتناسب مع سيرورة القصة.

تأثر ابن طفيل بالحدث القرآني:

كما نلاحظ تأثر ابن طفيل بالحدث القرآني، حين حدّثنا عن خوف أم "حي"، في الرواية الواقعية لنشأته، من أخيها الملك فتقذف به في اليم، بعد أن تضعه في تابوت، وهذا ما نجده في "سورة القصص": {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}[3] لكن تفاصيل حياة الرضيع ستختلف كليا، لدى ابن طفيل عنها في القرآن الكريم.

---

١ سورة المؤمنون الآية (٥٣).

٢ سورة الفرقان الآية (٤٣).

٣ سورة القصص الآية (٧).

الخصائص البلاغية قصة "حي بن يقظان":

وإذا بحثنا في خصائص هذه القصة ؛ فهي لا تملك الخصائص البلاغية للقصة المعروفة اليوم، من مقدمة وعقدة وحلّ، فقد استخدم ابن طفيل السرد طريقاً للتعبير عن أفكاره ـــ التي أراد أن يبرهنها في هذه القصة، فهو فيلسوف يهتم بالمضمون الفكري أكثر من اهتمامه بالشكل القصصي.

ولكنه مع ذلك أعطى شكلاً فنياً لقصته ، مع بساطته ، يعد من أوائل الذين سهلوا الطريق للقصة العربية ، حيث أن عصره لم يعرف القصة ؛ إلا في بعض الرسائل التي يمكن اعتبارها بذرة أولية للقصة العربية ، ومع ذلك فهو أعطى للقصة بعداً زمانياً وآخر مكانياً ، وشيئاً من التحليل النفسي.

أما أسلوب القصة ؛ فقد استخدم ابن طفيل أسلوباً بسيطاً في سرد قصته ، اعتمد فيه الألفاظ السهلة المألوفة ، مع شيء من الرمز والإيحاء ، فبطل قصته يرمز للعقل السليم الذي يتوصل إلى الحقيقة عن طريق المسلمات المعرفية ، وقد استخدم في كل هذا جملاً بسيطة ، مفهومة ، مترابطة ، خالية من التعقيد ، يضطر أحياناً إلى إيراد بعض الاستطراد فيترك القصة بين الحين والآخر ليروح عن القارئ، وكونه صوفياً فقد استخدم كثيراً من ألفاظهم وتعابيرهم المتعلقة بالمشاهدة والكشف.

كما تظهر ثقافته العلمية واطلاعه على كثير من العلوم من خلال ما بثه في جوانب القصة من أفكار وألفاظ علمية تدل على ما كان يملكه من العلوم، فهو مطلع على علوم أرخميدس ؛ حيث قام حيّ بتجربة مماثلة لتجربته في قوة الدافعة المعروفة باسمه (دافعة أرخميدس)، فقد قام بملء زق جلد هواءً وربطه ثم غاص به تحت الماء فلاحظ قوة دفعه إلى الأعلى ... ومن ذلك تعريفه لكل من (التغذي و النمو)[1] تعريفاً علمياً فلسفياً ، فالتغذي : هو أن يخلف المتغذي بدل ما تحلل منه بأن يحيل إلى التشبيه بجوهره مادة قريبة منه يجتذبها إلى نفسه . والنمو : هو الحركة في الأقطار الثلاثة على نسبة محفوظة في الطول والعرض والعمق.

أما الألفاظ العلمية، فقد أورد الكثير منها في قصته، من مثل (الأسطقصات [2]، التسخين ، التبريد، الإضاءة، التكثيف، الشفافة، الفلك، علم الهيئة، القطب، خط الاستواء، الطول ، العرض ، العمق).

وقد استمد من التاريخ قبساً ، فعندما تحدث عن الطريق الثانية لولادة "حي بن يقظان" ، وهو أنه كان بإزاء جزيرة الواقواق جزيرة يملكها رجل شديد الأنفة والغيرة ، وكانت له أخت ذات جمال

---

١ قصة "حي بن يقظان" : ص٥٩

٢ الأسطقصات هي :" الأرض ، والماء ، والهواء ، والنار " ، التنبيه والإشراف : ج١ ص٤٢

وحسن باهر ، فعضلها ومنعها من الزواج إذا لم يجد لها كفئاً ، وكان له قريب يسمى "يقظان" فتزوجها سراً وحملت منه ووضعت طفلاً ، ولما خافت أن يفتضح أمرها وينكشف سرها وضعته في تابوت أحكمت زمّه (إغلاقه) وخرجت به في أول الليل إلى ساحل البحر وقذفت به في اليمّ فحملته أمواجه إلى ساحل تلك الجزيرة ، فابن طفيل يستلهم ذلك مما أوردته بعض كتب التاريخ والأدب عن قصة العباسة أخت هارون الرشيد مع جعفر بن يحيى البرمكي، حيث[1] " إن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي ، وكان يحضرهما إذا جلس للشرب ، فقال لجعفر : أزوجكها ليحلّ لك النظر إليها ولا تقربها فإني لا أطيق الصبر عنها ، فأجابه إلى ذلك فزوجها منه ، وكانا يحضران معه ، ثم يقوم عنهما ، وهما شابان ، فجامعها جعفر فحملت منه، فولدت له غلاماً فخافت الرشيد، فسيرته مع حواضن له إلى مكة فأعطته الجواهر والنفقات ..."[2] والصلة واضحة بين ميلاد كل من حيّ وابن العباسة سرّاً ومحاولة كل منهما تهريب ابنها ، كما أن ابن طفيل استلهم في وضع أم حيّ له في التابوت وقذفه في اليمّ قصة أم موسى عليه السلام في القرآن الكريم حين خافت عليه من فرعون أن يقتله { أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ }[3]

ونرى أن هناك ثمة تأثر بالروح الإسلامية والمبادئ التي تحض المؤمن على الإسهام في إصلاح مجتمعه، لذلك وجدناه، حين شكل تصرفات شخصيته "حي" صاغها ابن طفيل بكلمات وفق هذه الروح، إذ وجدناه يدعو أبسال لاصطحابه إلى مدينته العاصية عله يستطيع هدايتها، وهنا نلاحظ ابن طفيل متأثرًا بالحديث الشريف: ((مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[4].

---

١ الكامل في التاريخ : ج٥ ص٣٤٨

٢ ينظر في قصة العباسة :تاريخ الطبري(١٧٢٩/٥-١٧٣٢) ، وفيات الأعيان(٣٢٨/١-٣٤٦) ، مرآة الجنان(٤٠٤/١ وما بعدها) ، البداية والنهاية(مج٥ ج٢٠٨/١٠-٢٠٩) ، النجوم الزاهرة(١٢١/٢) ، المقدمة(١٩) ، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس(٤٥٧) ، العقد الفريد(٧١/٥-٧٢).

٣ سورة طه الآية (٣٩) .

٤ رواه مسلم

تأثير اللغة القرآنية على قصة "حي بن يقظان":

وقد كان للقرآن الكريم وجود كبير في القصة ، فقد استمد من قصة الكهف حين أوى حيّ إلى الأجمة ليختبأ فيها {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً}[1]، واقتبس من قصة قابيل وهابيل عندما اقتتل الغرابان ، فقام أحدهما بدفن الآخر {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ }[2]، وذلك عندما أراد دفن الظبية بعد موتها.

وقد أورد ابن طفيل جملة من آي الذكر الحكيم ، منها ما أورده بحرفيته كالآيات ، {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} ٣ ، { لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} ٤ ، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[5]، {وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}٦، { لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} ٧ ، {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}[8]، {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}٩، {فَأَمَّا مَنْ طَغَى،وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا،فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}[10]، {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً}١١، {سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}[12]،

١ سورة الكهف الآية (١٠)

٢ سورة المائدة الآية (٣١).

٣ سورة الملك(١٤).

٤ سورة سبأ(٣).

٥ سورة يّس (٨٢).

٦ سورة القصص (٨٨).

٧ سورة غافر الآية (١٦).

٨ سورة الروم الآية (٧).

٩ سورة البقرة الآية (٧).

١٠ سورة النازعات الآيات (٣٧,٣٨,٣٩)

١١ سورة مريم الآية (٧١).

١٢ سورة الفتح الآية (٢٣)

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ،أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}١، {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}٢.

١ سورة الواقعة الآيتان (١٠,١١).

٢ سورة الأنفال الآية (١٧).

المبحث الثاني

الصورة البلاغية في مدخل القصة وخاتمتها.

تمهيد: إن بداية القصة وخاتمتها تمتعت بقدرات جمالية في السرد، لكن صلب القصة التي تتحدث عن معاناة "حي" الروحية إثر وفاة أمه، بدت أشبه برحلة فلسفية صوفية علمية، فقد أسقط ابن طفيل أفكاره على الشخصية "حي" وجعله يتحدث بلغته الفلسفية الصوفية، فبدت لنا هذه الشخصية البدائية أشبه بفيلسوف مسلم، يتحدث لغة القرآن الكريم، دون أن يتعرف على الإسلام بعد..

الصور البلاغية حول رواية "حي بن يقظان"

تعد قصة "حي بن يقظان" من أهم القصص التي ظهرت في العصور الوسطى، في نظر كثير من النقاد، فهي رائدة في فن القص، إلى جانب ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، لهذا لا يحق لنا أن نحاكمها بمقاييس عصرنا، وما توصلنا إليه من إنجازات في النظرية السردية، فإذا حاولنا الحديث عن هذه القصة، بمقاييس عصرنا اليوم فليست الغاية تقويمية، كما قد يظن البعض، وإنما من أجل إبراز إنجازاتها الفنية المدهشة، وإبراز سقطاتها الفنية التي مازلنا نلاحظها لدى كتابنا اليوم، لذلك لا يضير مكانة ابن طفيل وريادته الحديث عنها.

ثمة وعي لدى المؤلف أنه يقدم قصة، لذلك وجدناه يستخدم هذا المصطلح في التمهيد "فأنا واصف لك قصة "حي بن يقظان" وقد استخدم مصطلح "واصف" بدل مصطلح "سارد" أو "أقص" كذلك أبرز في التمهيد أسباب كتابة هذه القصة، إنها أسباب تعليمية فقد كتبها بناء على سؤال صديقه عن الحكمة المشرقية التي ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا، لذلك ينصحه بلهجة تعميمية قائلًا: "فاعلم: أن مَن أراد الحق الذي لا جمجمة فيه، فعليه بطلبه والجد في اقتنائه" وهذا ما فعله بطل قصته "حي" حين بذل غاية جهده ليصل إلى الحقيقة.

لم يذكر، هنا، اسم صديقه، وإنما وصفه ب"الأخ الكريم، الصفي الحميم"، لذلك نرجح أن يكون متلقيًا عامًّا، يتخيله المؤلف كي يستطيع محاورته ومن ثم يحاول هدايته إلى ضرورة استخدام العقل والحدس في قضية الإيمان بالله تعالى، لذلك وجدناه في خاتمة القصة يقول له: "أردت تقريب الكلام فيها على وجه الترغيب والتشويق في دخول الطريق. وأسال الله التجاوز والعفو، وأن يوردنا من

المعرفة به الصفو، إنه منعم كريم، والسلام عليك أيها الأخ المفترض إسعافه ورحمة الله وبركاته" وبذلك اتضح لنا أن المؤلف يخاطب متلقيًا مضمرًا، موجودًا بالقوة، متوجهًا إليه بالخطاب، عله يفتح أمامه سبلًا مجهولة للإيمان، لعله يستطيع هدايته وإنقاذه من الجهل والكفر١.

السرد الجمالي لقصة "حي بن يقظان":

لو أردنا تحديد جمالية هذه القصة لوجدناها تكاد تنحصر في الجزء الأول "قصة ولادته ونشأته وفي الجزء الأخير حين التقى بأبسال" ويبدو لنا مشهد اللقاء مشهدا سرديًّا جميلًا بكل المقاييس الفنية، إذ احتفظ بقدرته على التشويق، كما شاعت به حيوية، بفضل تنوع الحركات التي لمسناها لدى كل من "حي" و"أبسال" من ركض واختباء وتلاحم في الأيدي ثم لمسات اليد الحانية، بالإضافة إلى تنوع البيئة، إذ تم اللقاء بين البيئة الحضرية بكل ما تعنيه من إنجازات "في الملابس والطعام والتصرفات..." والبيئة البدائية بكل ما تعنيه من حياة فطرية أشبه بحياة الحيوانات، هذا على صعيد الجسد، لكن هذا التناقض سرعان ما يختفي على صعيد الروح، إذ يتبين أبسال أن "حيًّا" لا يقل عنه إيمانًا ومعرفة بالله، لهذا يوافق على اصطحابه إلى مدينته العاصية لهداية أهلها.

ثمة عناية في رسم هذا المشهد، ظهرت في طريقة تقديم المؤلف للشخصيتين الرئيستين في القصة، فلجأ إلى رسمهما من الخارج وخاصة شخصية "حي" فبرز لنا في شكله البدائي "شعر رأسه يغطي جسده، ريش النسر الذي يكسوه" كما وصف لنا الأعماق، فاستطاع أن يبرز لنا حالة الرعب التي أحس بها كل واحد منهما حين التقى بالآخر، وخاصة رعب المدني من البدائي، وبذلك اجتمع في هذا المشهد عناصر سردية تجعل هذه القصة ذات سمات فنية ممتعة إلى حد ما٢.

رغم حياة العزلة التي عاشها "حي" فقد وجدناه عالما في الفلك، حين تأمل الكون ونشأة الأرض، كما وجدناه طبيبا، حين بدأ بتفحص جثة أمه الظبية، ويشرحها باحثا عن مصدر الحياة وسبب الموت، لنتأمل هذا القول، الذي يرصد لنا أعماق الشخصية وأفكارها "وعلم أن أمه التي عطفت عليه وأرضعته، إنما كانت ذلك الشيء المرتحل، وعنه كانت تصدر تلك الأفعال كلها، لا هذا الجسد

---

١ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله القسطنطي ، تح: إبراهيم الزين ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٨م، ص ٤٢.

٢ قصة "حي بن يقظان" ، ابن طفيل ، تقديم وإخراج:عمر سعيدان ، دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقيةط٢ ١٩٨٨، ص٣٦.

العاطل، وأن هذا الجسد بجملته، إنما هو كالآلة وبمنزلة العصي التي اتخذها لقتال الوحوش، فانتقلت علاقته عن الجسد إلى صاحب الجسد ومحركه، و لم يبق له شوق إلا إليه.
إن شخصية "حي" هي ابن طفيل العالم الفلكي والطبيب والفيلسوف، وبذلك توحد المؤلف مع الشخصية، في أغلب أحوالها وصفاتها وأفكارها ولغتها، فكانت الغاية، من هذه القصة، إيصال أفكاره إلى القراء عن طريق شخصية يتماهى بها تستطيع أن تقدم أفكاره التي قد لا يستطيع التعبير عنها صراحة١.

لعل إغراق الشخصية في التأمل الفلسفي والصوفي، أساء إلى البنية السردية للقصة، إذ إن فن القصة من أكثر الفنون التصاقا بالمجتمع، لذلك قد تؤدي العزلة الاجتماعية إلى الإساءة إليه، فتفقده حيويته وجاذبيته.
إن هذه الدراسة للقصة وفق معطيات عصرنا، قد تكون مفيدة في إبراز إنجازاتها الفنية، لكن أن نتحدث عن مزالقها وسلبياتها فهذا إجحاف في حقها، لأننا نغفل عن الفارق الزمني بيننا وبينها، فنحاكمها وفق معطيات عصرنا، فلو حاكمناها وفق معطيات عصرها لوجدناها عملا فنيا رائدا، قدّم لنا قصة فيها الكثير من المقومات الفنية "الشخصية، المكان، السرد، الحوار، الصراع"٢.

١ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم ، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت ط٢ ١٩٩٤م، ص ٥٥
٢ ابن طفيل ، تقديم وإخراج، ١٩٨٨، مرجع سابق، ص ٣٩ .

الفصل الثالث

عرض وتحليل القيم الأدبية المتضمنة في قصة "حي بن يقظان" في الأدب المقارن.

تمهيد وتقسيم: إن كلمة أدب بمعناها العام ، وما يمكن أن تحمله من مفاهيم لا يمكن إطلاقها على الأدب الانجليزي إلا فيما بعد نهاية القرن الثالث عشر ، وبتتبع هذا التاريخ ونموه نلاحظ أن الألوان الأدبية تبرز سيادة الشعر والأدب التمثيلي [المسرحية] فلقد كان هو المجال الفسيح لعموم الطبقات المختلفة في المجتمع، ولا أحد يمكنه أن ينكر ما للأدب التمثيلي من شهرة واسعة ما يمكن ملاحظته في كتابات ويليام شكسبير ، وكريستوف مارلو، إن ظهور الرواية في الأدب الإنجليزي جاء بعد أن أصاب الأدب المسرحي خلافات دينية ومنازعات سياسية إذ جاءت الرواية تعالج مواضيع من واقع المجتمع ومن خلال هذا المبحث سوف نقوم بعرض نموذج مقارن عن رواية انجليزية لكاتبها ديفو [1]وعنوانها " روبنسون كروزو " والقصة محور دراستنا " حي بن يقضان "، لابن طفيل.

سوف نتناول في هذا الفصل المباحث التالية:

- المبحث الأول: الصورة الأدبية في وصف الشخصيات "حي بن يقظان" وروبن كروز.
- المبحث الثاني: الاختلاف بين ""حي بن يقظان" وروبنسون كروزو".

---

١ فاروق سعد ، ابن طفيل "حي بن يقظان" ، بيروت ، (١٩٧٤)، ص٣٢.

المبحث الأول

الصورة الأدبية في وصف الشخصيات "حي بن يقظان" وروبن كروز.

تعد قصة "حي بن يقظان" من الروائع الفكرية والأدبية في تاريخ الأدب العربي قديماً وحديثاً، حيث يتميز هذا الأثر النفيس بمحتواه الفكري والفلسفي العميق الأبعاد، والرحب الآفاق بخياله الخصب، وبنائه الطريف.

مكان القصة :

جزيرة الواقواق : تقع أحداث القصة في جزيرة الوقواق ؛ وهي جزيرة أسطورية ورد ذكرها في بعض المصادر القديمة : في كتاب عبيد الله بن حُرداذبه في كتابه "المسالك والممالك" ، وكتاب "مروج الذهب" للمسعودي ، وفي "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي ، وفي كتاب "مختصر العجائب" للمسعودي والمنسوب إلى إبراهيم بن وصيف شاه ، ولقد ورد في كتاب "المسالك والممالك" : أن موقع جزيرة الواقواق في مشارق بحر الصين ، وذكر المسعودي أنها تقع فوق زنجبار إلى ناحية الجنوب من سفالة الزنج ، وأورد أنه يسكن هذه الجزيرة جنس على شكل نساء يصحنَ "واق ، واق" ، وإذا قبض على إحداهن سقطت ميتة ، وأنه لا يسكن الجزيرة رجال.
ويشير صاحب كتاب "البدء والتاريخ" إلى مظهر من مظاهر المقدسي إلى أنه يوجد في بلاد الهند شجر يعرف بالوقواق يحمل ثمراً يشبه الرؤوس الآدمية[1] .
ويورد الدمشقي في كتابه "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" أن الوقواق شجر شبيه بشجر الجوز ويحمل ثمراً يشبه صورة الإنسان.
وذكر عمر بن الوردي في "فريدة العجائب" أن في جزيرة الوقواق شجراً تشبه ثماره النساء في أحزامهن وسيقانهن ، معلقات بشعورهن يصحن إذا خرجن من غلافهن وأحسسن بالهواء : واق ... واق ، فتنقطع عندئذ شعورهن فيسقطن ويمتن.

---

١ ينظر في ترجمة ابن طفيل : الإحاطة في أخبار غرناطة (٤٧٨/٢)، تحفة القادم (١٢٦-١٢٧) ، عصر الدول والإمارات (الأندلس) (٨٥-٨٦).

فيبدو مما تقدم أن الأخبار الأسطورية التي وصفت بها الجزيرة من حيث وجود شجر يثمر النساء ، يصيح ويتكلم ، شجّع ابن طفيل على اتخاذها مسرحاً لأحداث قصته ، ومنطلقاً لفكرة التولد الذاتي والنشوء الطبيعي التي اعتمدها في الخبر الثاني للقصة[١].

شخصياتها:

إنّ الشخصية الرئيسة كما يشير إلى ذلك العنوان هي "حي بن يقظان" : وهي شخصية متدرجة نامية ومتطورة ، يتمثل دورها الأساسي في الكشف عن الحقيقة واكتساب المعارف ، وستتفق سيرتها من حيث مراحلها وأطوار المعارف التي يجدُّ حيّ في اكتسابها.

الظبية : ودورها أساسي في تحقيق انفراج الأزمة في المرحلة الأولى باحتضانها ورعايتها لحيّ.

أسال : كان يعيش في جزيرة قريبة من جزيرة الواقواق وله صديق هو سلامان ، وهما يدينان بأحد الأديان السماوية. وكان سلامان يقول بظاهر الأشياء ويرفض التأويل والتأمل ، أما أسال فكان يغوص في الأمور الباطنية ، فاختلف معه وغادر الجزيرة حتى وصل جزيرة الوقواق حيث التقى بحيّ وتعرف على طريقته في الكشف عن الحقائق الكونية والوصول إلى المعرفة ، واتفق معه على أن يرافقه إلى جزيرته علّهما يفلحان في هداية أهلها إلى الحق.

قصة "حي بن يقظان" وأثرها في قصة "روبنسون كروزو :"

نحب أن نتوقف بشيء من التفصيل إزاء قضية الصلة بين تلك الرواية وبين رواية ديفو: "روينسون كروزو" التي يقول كاتب الويكبيديا :

إن مؤلفها قد استلهمها من قصة "حي بن يقظان" كما رأينا. ولكن علينا أولًا أن نتعرف إلى "روينسون كروزو" مثلما تعرفنا إلى "حي بن يقظان" وسوف يكون اعتمادنا هذه المرة أيضًا على ما جاء في المادة الخاصة بتلك الرواية في موسوعة "الويكيبيديا": فنقول إن "روبنسون كروزو" قصة كتبها دانيال ديفو، ونشرها لأول مرة عام ١٧١٩م. وهي تحكي قصة شاب عاش في جزيرة من الجزر وحيدًا لمدة طويلة دون أن يقابل أحدا من البشر، ثم بعد عدة سنوات التقى بأحد المتوحشين فعلمه بعض ما وصل إليه الإنسان المتحضر من تقدم فكري واتخذه خادمًا له، ليعود في نهاية القصة مصطحبًا خادمه إلى أوروبا حيث العالم المتمدن .

---

١ ينظر مقدمة قصة "حي بن يقظان" : ص٩.

وتبدأ القصة بمغادرة كروزو إنجلترا في رحلة بحرية في سبتمبر عام ١٦٥١، مخالفًا رغبات والديه، ويسطو القراصنة على السفينة ويصبح كروزو عبدًا للمغاربة، إلا أنه يتمكن من الهرب في زورق ويصادق قائد سفينة برتغالية قادمة من الساحل الغربي لأفريقيا في طريقها إلى البرازيل، وهناك يصبح كروزو مالكًا لإحدى المزارع وينضم إلى بعثة لجلب العبيد من أفريقيا.

وتغرق السفينة التي كان فيها وقتذاك في عاصفة تبعد أربعين ميلًا في البحر في مدخل نهر أورينوكو ما بين فنزويلا و البرازيل في سبتمبر عام١٦٥٩م، فيموت الركاب ما عداه. ويتمكن من استخلاص الأسلحة والأدوات والتجهيزات التي كانت في السفينة قبل أن تتحطم تمامًا وتغوص في الماء، ثم يبني سورًا لمسكنه، ويصنع تقويمًا يتعرف به على مرور الزمن من خلال علامات يرسمها على قطعة خشب. كما يقوم بالصيد وزراعة الذرة ويتعلم صناعة الفخار وتربية المعز، ويقرأ الإنجيل، ويصبح متدينًا فجأةً، ويشكر الله على هذا المصير الذي انتهى إليه، إذ لم يكد يفقد شيئًا سوى رفقة البشر.

وفي يوم من الأيام يكتشف كروزو جماعة من آكلي لحوم البشر يقومون بزيارة الجزيرة ليقتلوا ويأكلوا أسراهم. وعندما استطاع سجين من السجناء الهروب انضم إلى كروزو، الذي سماه: "فرايداي "Friday: باسم يوم الجمعة الذي قابله فيه، فشرع يعلمه الإنجليزية حتى يستطيع التفاهم معه، كما نجح في تحويله إلى النصرانية. ثم تصل مجموعة جديدة من السكان الأصليين لصنع وليمة أخرى من اللحوم البشرية، ويستطيع جمعة وكروزو قتل معظمهم مع الاحتفاظ باثنين من أسراهم: أحدهما هو والد جمعة، والثاني أسباني.

ويخبر هذا الأخير كروزو أن مجموعة من الأسبان الذين غرقوا موجودون على هذه الجزيرة. ويستطيع الثلاثة بمعاونة هؤلاء الأسبان بناء سفينة يبحرون بها إلى أسبانيا. بيد أن سفينة إنجليزية تظهر ويقع فيها تمرد يسيطر أصحابه على السفينة، ويتركون قائدهم على الجزيرة، لكن القائد يستطيع -بمساعدة كروزو- استرداد السفينة. ثم يسافر كروزو بعد ذلك إلى البرتغال للبحث عن قائده القديم الذي يُخبرُه بأن مزرعته البرازيلية قد جعلته رجلًا غنيًّا. ومن البرتغال يسافر كروزو إلى إنجلترا عن طريق أسبانيا وفرنسا حيث يتعرضون في جبال البيرينيز لهجوم من الذئاب. ويُقرر كروزو بيع مزرعته؛ لأن عودته إلى البرازيل كانت تستلزم تحوله إلى الكاثوليكية، وهو ما لا يريده، ثم يتزوج ويصبح أبًا لثلاثة أطفال. وعندما تموت زوجته ويصبح أرملًا يعود إلى جزيرته في نهاية المطاف.

ولعل جوتييه هو أول من بحث علاقة قصة "حي بن يقطان" بقصة روبنسون -كروزو المكتوبة عام ١٧١٩م في بريطانيا تحت عنوان "مغامرات عجيبة في قصة حياة روبنسون كروزو"- ووقف جوتييه عند حد اقتراض اطلاع دي فو على قصة ابن طفيل، في "دائرة المعارف الإسلامية" ذهب إلى اعتبار أن كروزو يمثل نمطًا للرجل العملي دنيويًّا، في حين حي بن يقطان مثلًا للحياة التأملية التصوفية١.

ويأتي إيرنست بيكر في كتابه: "تاريخ القصة الإنجليزية" الصادر في لندن سنة ١٩٤٣م ليعتبر "حي بن يقطان" أحد المصادر المحتملة لقصة "روبنسون كروزو". وينضم ويليام كيري وليفيج أولوفسون إلى أولئك الذين جزموا باطلاع دي فو على قصة "حي بن يقطان"، في حين يقف أوغسطين سيرارو وديرهارو ويخناش دون الجزم. أما الكُتّاب العرب عمر فروخ، ومحمد غلاب، وعلي المصراتي، وقدري طوقان، وكمال اليازجي، وأنطوان كرم، وإبراهيم مدكور، ومحمد لطفي جمعة، ولطفي عبد البديع، وسعيد عبد الفتاح عاشور، وكامل الكيلاني، فقد ذهب جميعهم على تأكيد أثر قصة "حي بن يقظان" في قصة "روبنسون كروزو."....."

وممن افترض أيضًا اطلاع ديفو على "حي بن يقطان" المستشرق A-M Goichon كاتب مادة "حي بن يقظان" في الطبعة الجديدة من "دائرة المعارف الإسلامية"، إذ كتب ما نصه "It is possible : that defoes Robinson crusoe the first part of which appeared is 1719 owed something to ockleys translation of ibn tufayl".

وترجمة ذلك أنه من المحتمل أن تكون قصة "روبنسون كروزو"، التي ظهرت جزؤها الأول عام ١٧١٩م، مدينة بعض الشيء لترجمة أوكلي لقصة ابن الطفيل. كذلك يقرر كامل كيلاني في مقدمة ترجمته المبسطة للناشئين لكتاب "روبنسون كروزو" أنه قد ظهر فيه أثر لقصة العربية الخالدة: "حي بن يقطان".

أما د. عمر فروخ فقال في كتابه: "تاريخ الأدب العربي" -ط٢/ دار العلم للملايين/ ١٩٨٥/٤٧٠هـــ٢-: "لقد قلد هذه القصة كتاب كثيرون أشهرهم وأقربهم إليه السياسي القصصي الأدبي دانيال ده فو ت ١٧٣١م في قصة: "روبنسون كروزو". ولفروخ في ذات الوقت

١. الخطيب، حسام الخطيب، الأدب المقارن .. من العالمية إلى العولمة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ٢٠٠٦م.

كتاب كامل عن القصة العربية عنوانه "ابن الطفيل وقصة حي بن يقطان" تناول فيه بشيء من التفصيل القول في هذه القضية -ط٢/ مكتبة ميتمنة/ ١٩٥٩م /٩٣- ٩٧.

كذلك كتب جميل صليبا وكامل عياد في مقدمة تحقيقهما لكتاب ابن الطفيل ما يلي: وتمتاز قصة ابن طفيل عن قصة "روبنسون كروزو" من الناحية الفلسفية. كذلك تمتاز على غيرها من القصص الفلسفية الشرقية بالقرب من الحقيقة الواقعة، وبالوصف الطبيعي، وبالتفصيلات الدقيقة عن الحياة العملية، عَدَا رشاقة الأسلوب وسهولة العبارات وحسن الترتيب. وهي بهذه المزايا تعتبر في مقدمة الآثار العربية التي تستحق الخلود في تاريخ الفكر البشري"[١].

وبالمثل تؤكد مادة "روبنسون كروزو" في زهُلْوُل: "الموسوعة العالمية المجانية" أن رواية ديفو مستوحاة من "حي بن يقظان"، إذ نقرأ فيها أن ذلك العمل هو قصة أوروبية مأخوذة عن قصة "حي بن يقظان" لابن طفيل الأندلسي، وأنه بعد ترجمة قصة "روبنسون كروزو" للكاتب دانيال ديفو. ورغم هذا فإن كاتب المادة لا يغفل الفروق التي بين الروايتين، بل يرصدها معليًا في الوقت ذاته من شأن الرواية العربية على نظيرتها الإنجليزية.

وأما د. محمد غنيمي هلال فيستبعد أن يكون لــ"حي بن يقظان" تأثير على قصة ديفو؛ لأن التشابه بينهما ظاهري ضئيل كما يقول، علاوةً على أن لقصة "روبنسون كروزو" أصلًا تاريخيًّا يتمثل في مغامرات البحار الإسكتلندي سيلكيرك، التي كتب عنها زميل له من البحارة عام ١٧٠٩م، أي: قبل ظهور "روبنسون كورزو" بعشر سنوات -انظر كتابه: الأدب المقارن"/ دار النهضة مصر/ ٢٣٥/ هـــ٣-. ومع هذا نرى هلال في ذات الوقت يؤكد أن قصة الكاتب الأسباني بلتاسار جراثيان: "الكريتيكون"، التي ظهرت أجزاؤها الثلاثة تباعًا في خمسينيات القرن السابع عشر، والتي تشبه قصة ابن الطفيل، لا بد أن تكون قد تأثرت بهذه الأخيرة، إذ من المؤكد في رأيه أن يكون جزاثيان قد اطلع على قصة ابن الطفيل رغم أنها لم تكن قد ترجمت بعد إلى أية لغة أوربية؛ لأنه من الصعوبة بمكان أن نرجع هذا التشابه بين العملين إلى مجرد المصادفة.

وهناك أيضًا مدني صالح، الذي يخلص في مقاله المنشور في العدد التاسع من مجلة "الأقلام" العراقية إلى أن قصة "روبنسون كروزو" هي عنصر من عناصر بيئة دي فو الثقافية، وهو ما يؤيده فاروق سعد

---

١ الخطيب، حسام الخطيب، الأدب المقارن .. من العالمية إلى العولمة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ٢٠٠٦م.، ص ٥٠.

صاحب كتاب "حي بن يقطان" لابن طفيل. وهذا يعني: أن ذينك الكتابين يريان أنه لا وجود لأنه صلة، أو عملية تأثير وتأثر بين قصة ابن الطفيل وقصة دانيال ديفو. وبالمثل فإن كاتب مادة Crusoe Robinson"في موسوعة الإنكارتا الإنجليزية –ط ٢٠٠٩م– لا يشير إلى أية صلة بين العملين مكتفيًا فقط بلفت النظر إلى ما قيل عن تأثر ديفو في كتابة "روبنسون كورزو" بما وقع لألكسندر سيلكيرك من مغامرات حقيقية قرأها الجمهور على نطاق واسع قبل صدور "روبنسون كروزو ."

ونفس الشيء يردده كاتب ذات المادة في النسخة الفرنسية من طبعة ٢٠٠٩م من "الإنكارتا"، إذ يرجع مصدر إلهامها إلى ما وقع لألكسندر سيلكيرك البحار الأسكتلندي الذي غرقت سفينته، واضطر للعيش وحيدًا فوق جزيرة من جزر أرخبيل خوان فرنانديز بشيلي. وعلى نفس الشاكلة تمضي :Encyclopaedia Britannica الموسوعة البريطانية" –ط٢٠٠٨م– في ترجمتها لديفو، إذ كل ما نقلوه في هذا الصدد هو أن المؤلف قد اعتمد جزئيًّا على مذكرات بعض الرحالة والناجين من الغرق من أمثال سيلكيرك، ثم لا شيء آخر[١].

مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، لماجدة حمود:

أثر ""حي بن يقظان"" لابن طفيل في "روبنسون كروزو" لـــ"دانييل دبفو":

"حي بن يقظان":

يروي لنا ابن طفيل روايتين لنشأة "حي بن يقظان":

الأولى: نشأة طبيعية، فقد كان هناك ملك عظيم منع أخته من الزواج، لأنه لم يجد من الرجال من هو كفؤ لها، لذلك تزوجت سرًّا من رجل يدعَى "يقظان" فأنجبت طفلًا أسمته "حي" ووضعته في تابوت، وقذفته في اليم قائلة: "اللهم إنك خلقت هذا الطفل و لم يكن شيئًا مذكورًا، ورزقته في ظلمات الأحشاء، وتكفلت به حتى تم واستوى، وأنا قد سلمته إلى لطفك، ورجوت له فضلك، خوفًا من هذا الملك الغشوم الجبار العنيد. فكن له، ولا تسلوه، يا أرحم الراحمين.

---

١ مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تح: نواف الجراح ، دار صادر – بيروت ٢٠٠٠م، ص٩٨.

نجد في هذه الرواية لنشأة حي ملامحَ واقعية، فخوف الأم على وليدها من الموت قد يدفعها إلى قذفه في البحر، فتسلمه إلى مصير مجهول خوفا عليه من موت محقق.

الثانية: تحكي عن نشأة غير طبيعية "إذ إن الذين زعموا أنه ولد من الأرض فإنهم قالوا: إن بطنًا من أرض تلك الجزيرة تخمرت فيه طينة على مرّ السنين والأعوام، حتى امتزج فيها الحار بالبارد، والرطب باليابس، امتزاج تكافؤ وتعادل في القوى، وكانت هذه الطينة كبيرة جدًّا، وكان بعضها يفضل بعضًا في اعتدال المزاج، والتهيؤ لتكون الأمشاج، وكان الوسط منها أعدل ما فيها وأتمه مشابهة بمزاج الإنسان وحدث في الوسط منها لزوجة ونفاخة صغيرة جدًّا، منقسمة بقسمين، بينها حجاب رقيق، ممتلئة بجسم لطيف هوائي في غاية الاعتدال اللائق به، فتعلق به عند ذلك "الروح" الذي هو من أمر الله تعالى وتتشبث به تشبثا يعسر انفصاله عنه عند الحس وعند العقل، إذ قد تبين أن هذا الروح دائم الفيضان من عند الله -عز وجل- وأنه بمنزلة نور الشمس الذي هو دائم الفيضان على العالم[١].

ثمة قوى خارقة أدخلت الروح إلى ذلك الجسم الطيني، المهم أن "حيًّا" في كلا الروايتين نشأ في تلك الجزيرة المنعزلة، وقد رعته ظبية فقدت ابنها، أرضعته من لبنها، وحمته من الوحوش، كما حمته من عوامل الطبيعة من برد وحر، فيكبر وهو لا يعرف أمًّا له سوى الظبية، لكن الله منحه العقل الذي أتاح له التفكر والمقارنة بين حاله وحال سائر الحيوان، فقد نظر إليها فوجدها مكسوة الجلد بالصوف أو بالريش، فحاول أن يغطي جسده بأوراق الشجر، لكنه سرعان ما جفّ وتساقط، لهذا نجده يلجأ إلى ريش نسر ميت يستر به جسده، وبذلك يعيش عيشة الوحوش في الغابة في طعامه ولباسه وعلاقاته.

يبدأ نضجه الفكري حين تموت أمه الظبية، يصدمه هذا الحدث فيقرر فهمه، لذلك نجده يبحث عن سر الموت في جسدها أولًا، لذلك يشرّحه باحثًا عما حصل له بفعل الموت، هل نقص عضو من أعضائه؟

---

١ قصة "حي بن يقظان" وتأثرها بالأدب. بحث في:الأدب. إعداد. د/ أشرف حسن محمد حسن. قسم اللغة العربية. كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية بماليزيا. شاه علم – ماليزيا، ص ٥٣.

يفاجأ أن جسدها ما زال على حاله، لم ينقص منه عضو، لكن ينقصه شيء مهم هو الذي يحرك الجسد ويملؤه بالعواطف، لم يستطِع أن يهتدي إلى السر في ذلك، فدفن أمه بعد أن لاحظ أن رائحة نتنة بدأت تنبعث من جسدها مما زاد في نفرته منه، وود أن لا يراه، ثم إنه "سنح لنظره غرابان يقتتلان حتى صرع أحدهما الآخر ميتا، ثم جعل الحي يبحث في الأرض حتى حفر حفرة فوارى فيها ذلك الميت بالتراب، فقال في نفسه: ما أحسن ما صنع هذا الغراب في مواراة جيفة صاحبه، وإن كان قد أساء في قتله إياه! وأنا كنت أحق إلى هذا الفعل بأمي فحفر حفرة وألقى فيها جسد أمه، وحثا عليها التراب[١].

وبذلك انتهى من مشكلة الجسد ليصل إلى مشكلة الروح، فبدَا لنا إنسانًا أشبه بالفيلسوف، باحثًا عن سر الحياة ليس في جسد أمه فقط، وإنما في هذا الكون المتنوع والشاسع، وبدأ يراقبه فلاحظ أن موجوداته "الأجسام والأشياء" إما تعلو "كالهواء والدخان" وإما تهبط "كالحجر" وبذلك تعرف على بعض خصائص العالم المادي عن طريق النظر والتجربة، لكن المعرفة المادية لم تكفه، فقد أراد أن يعرف ما يؤرقه من عالم ما وراء المادة.

لاحظ أن الأشياء لا تتغير طبيعتها إلا بفعل مسبب، كتحول الماء إلى بخار لا يكون إلا بالتسخين، والتالي فإن تحول الأشياء لا بد لها من محول، لهذا فإن حدوث العالم وخروجه من العدم لا بد له من فاعل يخرجه إلى الوجود.

كذلك نظر إلى الكون وإلى نظامه الدقيق، أدهشه هذا النظام، فرأى أنه لا بد من أن يكون وراءه منظم قادر تجتمع فيه صفات الكمال وتنأى عنه النقائض، وهكذا قاده مبدأ السببية إلى الإيمان بالله تعالى، والتعمق في العالم الروحي.

لهذا أراد أن يقيم صلته بهذا الموجود، المنظم لكل شيء، وصار يتأمل في عالم الحيوان عله يتعلم منه، فرأى أنه لا يهتم إلا بالأكل والشرب وكل ملذات الجسد، فانطوى على ذاته يبحث في أعماقها عن سبل الاتصال بالله، فلم يجد سوى الاتصال الروحي والاستغراق في التوحد بالذات الإلهية، لهذا سكن في كوخه الذي بناه وانقطع عن العالم الخارجي ولم يعد يخرج إليه إلا مرة في الأسبوع تلمسا للغذاء الذي بات يعتمد على أبسط الأشياء، مما يتيح له القدرة على الاتصال بالله بشكل أفضل.

---

١ أشرف حسن محمد حسن، مرجع سابق .

يأتي الجزيرة "أبسال" وهو رجل دين متصوف، هاربًا من شيوع الفساد في مدينته، بعد أن يئس من إصلاح أهلها، يلتقي ب"حي" فينفر منه للوهلة الأولى خائفًا من منظره "إنسان بدائي، شعر رأسه يغطي جسده إلى جانب ريش النسر الذي يكسوه، لكن تصرفات "حي" تهدئ من روعه، فيبدأ تعليمه اللغة، وحين يتقنها، يشرع في تلقينه تعاليم الدين، فيكتشف أن ابن يقظان قد توصل إلى الإيمان بإله واحد، وتعرّف صفاته، والتواصل معه عن طريق القلب، وعبادته بل بات يتفرغ لهذه العبادة.

وحين حدّثه أبسال عن معاناته مع أبناء مدينته يطلب منه "حي" اصطحابه إليهم كي يحدثهم بتجربته الإيمانية، لعلهم يعودون إلى جادة الصواب، وحين يلتقي بهم، يوضح لهم تجربته العقلية في الإيمان، كما يحدثهم عن تجربته الصوفية في التواصل مع الله تعالى، لكنهم كانوا مشغولين بحب الدنيا وملذاتها، لذلك تركهم حي بعد أن نصحهم بالتزام أوامر دينهم وفق الشريعة، وعاد إلى الجزيرة بصحبة صديقه أبسال، ليتفرغا للعبادة[١].

١ قصة "حي بن يقظان" وتأثرها بالأدب. بحث في الأدب. إعداد. د/ أشرف حسن محمد حسن. قسم اللغة العربية. كلية اللغات — جامعة المدينة العالمية بماليزيا. شاه علم — ماليزيا، ص ٥٧.

المبحث الثاني

الاختلاف بين "حي بن يقظان" و"روبنسون كروزو".

تمهيد: سنتناول في هذه الدراسة إحدى نماذج التأثر: قصة "روبنسون كروزو" لدانييل ديفو فنبحث عن نقاط اللقاء ونقاط الاختلاف.

"روبنسون كروزو:":

يبدو لنا روبنسون كروزو شابًّا في العشرين من عمره، أحلامه أحلام الشباب في السفر والمغامرة، يستأذن والديه في السفر عبر البحار، ليحقق أحلامه، لكن والديه يرفضان الموافقة على هذه الفكرة حرصا على حياته، فيعصي أوامرهما، ليحقق رغبته في المغامرة والسفر، لذلك نجد والده غاضبًا عليه يدعو الله أن يضع في طريق ابنه المتاعب.

فعلًا حين يسافر روبنسون يصادف أهوالًا كثيرةً، كان آخرها تحطم السفينة، وغرق جميع ركابها، ما عدا روبنسون، وبعد أن يجتاز أهوالًا كثيرةً يجد نفسه في جزيرة نائية، لا يوجد فيها سوى الحيوانات المتوحشة فتكبد مشقة البحث عن حياة آمنة مستقرة فيها، لذلك يصنع من أشلاء السفينة المحطمة سكنا بسيطا، أما طعامه فكان مما تيسر له من ثمار الجزيرة، لكن المصادفة تساعده في تأمين غذائه من الحنطة، حين نفض كيسًا -يريد استخدامه لبعض شؤونه- كان فيه بقايا حنطة، فهطلت الأمطار ونبتت البذور، فصار يعتني بها، إلى مرحلة الحصاد.

نلاحظ أن كروزوًا لا يبدأ من الصفر، وإنما يساعده في الاستمرار على قيد الحياة مؤن وأدوات حصل عليها من بقايا السفينة المحطمة، كما ساعدته الطبيعة بأن مدّته بالمواد الأولية "الخشب" ليستمر في العيش.

بعد فترة من الزمن يلتقي روبنسون بإنسان أسير، استطاع أن يهرب من أكلة لحوم البشر، فيسميه "جمعة" ويتخذه مساعدا له في عمله.

عاش روبنسون في الجزيرة مدة ثمان وعشرين سنة، إلى أن أتت مصادفة سفينة، يرحل على متنها إلى بلده، بعد أن يخوض صراعًا مع رجال ثائرين على ربانها، وهكذا لاحقته المتاعب حتى آخر مراحل سفره.

اللقاء بين "حي بن يقظان" و"روبنسون كروزو:"

لو وقفنا عند السنة التي توفي فيها مؤلف "روبنسون كروزو" دانييل ديفو "١٧٣١م" وسنة وفاة ابن طفيل "١١٨٥م" للاحظنا أن مؤلف ""حي بن يقظان"" قد عاش قبل ديفو بحوالي خمس مئة سنة، وأن كلا الكاتبين قد عاش في إسبانيا فترة من حياته، لذلك كان تأثر ديفو بابن طفيل أمرًا طبيعيًّا.

لو تأملنا الفضاء المكاني لكِلَا الروايتين للاحظنا تشابهًا كبيرًا، فنحن أمام فضاء واحد تقريبًا "جزيرة نائية" كذلك نجد فيها إنسانًا وحيدًا، يحاول أن يفهم ويستكشف كل ما يحيط به، وبذلك نجد لقاء في تركيز القصتين على شخصية رئيسة واحدة، تعيش ظروفا متشابهة "العزلة، البدائية."...

كذلك تبدو الشخصية الثانوية في كلا القصتين، شخصية طارئة "أبسال، جمعة" تأتي إلى الجزيرة بعد استقرار الشخصية الرئيسة، إذ تم اللقاء بها بعد مرور فترة طويلة من العزلة في الجزيرة، وقد لاحظنا أنها أضفت الحيوية على فضاء القصتين، وأسهمت في تجديد إيقاعهما.

نلمح في كلا القصتين الغاية التعليمية، فابن طفيل، كما لحظناه منذ المقدمة، يريد أن يدلل على وجود الله باستخدام العقل والحدس، دون استخدام الشريعة، لذلك جعل من "حي" إنسانًا بدائيًّا يصل إلى الإيمان عن طريق استخدام العقل أولًا ثم الحدس، كأنه يطلب من الناس أن يمعنوا النظر في هذا الكون ليتوصلوا إلى الإيمان بعقولهم وقلوبهم، لا أن يكون إيمانهم إيمانًا تقليديًّا، يحول التواصل مع الله تعالى إلى مجموعة من الطقوس لا علاقة لها بالقلب أو العقل.

أما دانييل ديفو فقد كانت غايته تربوية، إنه يتوجه إلى الشباب، الذي يعشق المغامرة والسفر، بالنصيحة، طالبًا إليهم النظر إلى ما آل إليه حال روبنسون حين لم يستمع إلى رغبة والديه في عدم السفر، ونفّذ ما يدور في رأسه من أفكار، فعانى متاعب جمة استمرت حتى لحظات سفره الأخيرة[١].

انعكست في كلا القصتين ملامح من السيرة الذاتية للمؤلف، ففي قصة ""حي بن يقظان"" نجد أهم القضايا التي أرّقت ابن طفيل "هل تستطيع الفلسفة أن تؤدي إلى الإيمان بالله تعالى، على نقيض القول الشائع "مَن تمنطق فقد تزندق"؟ ثم هل يكفي استخدام العقل ليصل بنا إلى الإيمان العميق أم نحن بحاجة إلى القلب والقوى الداخلية الحدسية إلى جانبه؟ هل تستطيع العامة الإيمان بهذه الطريقة؟ أم لا بد لها من الطريقة النقلية في الإيمان؟ هل الطريقة العقلية الحدسية وقف على الخاصة دون العامة؟."

---

١ د. لوثي لوبيث بارالت "أثر الثقافة العربية في الأدب الإسباني" كتاب الرياض، ، عدد (٥٤) يونيو، ١٩٩٩، ص ٦٣

إذًا نلمح في هذه القصة بعض المعاناة الروحية والفكرية لابن طفيل، كما نلمح بعض ملامحه الشخصية التي أسقطها على "حي" فجعله فيلسوفًا وطبيبًا، وعالمَ فلكٍ مثله.
أما قصة "روبنسون كروزو" فقد لمحنا فيها معاناة دانييل ديفو من عقوق ابنه، لذلك جعل روبنسون ابنًا عاقًّا لوالديه، وأسقط عليه غضبه، مما جعله يعاني متاعب جمة في سفره، وعاقبه بأن عاش معظم حياته وحيدا يجتر آلامه.

الاختلاف بين ""حي بن يقظان" و"روبنسون كروزو"":

يدخل روبنسون الجزيرة النائية شابًّا، قد تكوّن فكره وتأصلت عاداته، أي بدَا لنا إنسانًا مدنيًّا أجبر على الحياة البدائية، أما "حي" فقد بدأ حياته فيها رضيعًا "حسب الرواية الأولى" أو تخلق من تربتها "حسب الرواية الثانية" لذلك كان إنسانًا بدائيًّا لصيقًا بالطبيعة، وقد قويت صلته بها مع الأيام، إذ لم يعرف عالمًا غيرها، فكان عالم الحيوان في الجزيرة دليله للحياة، تعلم منه طرائق العيش البدائية[١].
إذًا بدأ "حي" حياته في الجزيرة من الصفر، في حين وجدنا روبنسون يستعين بمخلفات السفينة المحطمة، فاستطاع أن يوفر لنفسه عيشة متحضرة بفضل المؤن والأدوات التي عثر عليها مع بقايا السفينة.
نظرًا لعلاقة "حي" الحميمة بالطبيعة نجده إنسانًا تغلب عليه الروحانيات والأفكار، همه الأساسي البحث عن قضايا تؤرق الإنسان "الإيمان بالله، الموت، هداية الآخرين" لذلك لم تؤرقه قضايا الحياة المادية، خاصة في المرحلة الأخيرة من حياته، فقد رأى أن الاستغراق في التواصل مع الذات الإلهية يفسدها الانشغال بالماديات، لذلك كان طعامه بسيطًا، يخصص له وقتًا زهيدًا ليصرف وقته في التأمل والعبادة، في حين وجدنا روبنسون مشغولًا بالعالم المادي، همه الأساسي تأمين الطعام ليس لمعيشته اليومية فقط وإنما يفكر بمعيشته المستقبلية فيحاول تأمين مؤنة الشتاء والعيش في مسكن على نسق عرفه في حياته السابقة، لذلك نستطيع أن نقول إن روبنسون نقل الحياة المدنية بكل ماديتها إلى الجزيرة، وربما لهذا السبب ابتعد عن القضايا الروحية، في حين جسّد "حي" الحياة الروحية بتأثير الطبيعة التي التصق بها، وكما يقول جان جاك روسو إن الإنسان الذي يعيش قريبا من الطبيعة أشد

---

١ ابن طفيل "حي بن يقظان" إعداد د. سمير سرحان،و د. محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩، ص (٧، ٨)

تدينًا واقترابًا من الله من ذلك الإنسان الذي يعيش في المدينة، ربما لأنه يزداد رهافةً وإحساسًا بمعجزات الكون وجماله، لشدة معايشته للطبيعة، ورؤيته لتبدلاتها المعجزة.

لا أدري إن كان يحق لنا القول: إن قصة ""حي بن يقظان"" تجسد لنا علاقة الشرقي بالكون، والتي رأيناها تعتمد على التركيز على الروحانيات وعدم الاهتمام بالماديات، في حين تجسد لنا قصة "روبنسون كروزو" علاقة الغربي المادية بالكون، وإن كنا لا نستطيع أن نقبل هذا الحكم بشكل مطلق.

إن شخصية "حي" هي شخصية فيلسوف يتأمل الكون ليفهم أسراره، يثير أسئلة جوهرية تتعلق بالوجود الإنساني وكيفية تواصله مع الله، لذلك اجتمعت لديه شخصية الفيلسوف إلى جانب المتصوف! وهو يفكر في إصلاح غيره، لذلك برزت لديه شخصية المصلح، في حين وجدنا "روبنسون" إنسانًا عاديًّا أقصى طموحاته تلبية حاجاته المادية.

وقد كان اللقاء بالشخصية الثانوية "جمعة" معززًا للجانب المادي لروبنسون إذ يقوم بمساعدته في أمور حياته المادية، في حين كان لقاء "حي" ب"أبسال" معززًا للجانب الروحي، علمه اللغة، إحدى أهم مفاتيح الأعماق والأفكار، ثم أخذه إلى مدينته العاصية ليسهم في إصلاحها.

لو تأملنا علاقة "حي" ب"أبسال" لوجدناها علاقةً نديةً، إذ يتم تبادل المعرفة بينهما، ويحاولان التعاون في سبيل إصلاح البشر وهدايتهم.

أما علاقة روبنسون ب"جمعة" فقد كانت علاقة السيد بالمسود على نقيض علاقة "حي" ب"أبسال" وبذلك تتجسد لنا علاقة الغربي بالآخر، فهو السيد والآخر عبد له.

نلاحظ أن القصة لدى ابن طفيل ما زالت بدائية، رغم الإنجازات السردية التي لحظناها، إذ لا نجد، غالبًا سردًا متصلًا بحدث معين، أو بشخصية معينة، خاصة إذا تجاوزنا المقدمة والخاتمة، التي أشرت إلى جماليتهما سابقًا، فقد امتلأت القصة بالاستطرادات الفلسفية، فأصبحت أشبه ما تكون بمقال فلسفي، في أغلب الأحيان، في حين بدا السرد القصصي، في "روبنسون كروزو" متقنًا، يكاد يخلو من الترهل والاستطراد، فالحدث مشوق، يتطور عبر حبكة متماسكة، وقد ابتعدت الشخصية عن التجريد، فلم تبدُ مجموعة أفكار، كشخصيات ابن طفيل، بل رأيناها قريبة من الواقع، هنا لا بد أن نذكر مرة أخرى بالفارق الزمني بين القصتين "حوالي خمس مئة سنة "[١].

---

١ دانيال ديفو "روبنسون كروزو" ت. كامل كيلاني، مطبعة المعارف بمصر، ط٣، د.ت، ص ١٣

يلاحظ وجود مؤثر إسلامي آخر في قصة "روبنسون كروزو" وهو ألف ليلة وليلة، إذ لابد أن ديفو قد اطلع على ترجمة "غالان" لألف ليلة وليلة التي ظهرت في اثني عشر مجلدًا بين عامي "١٧١٤-١٧١٧" فقد توفي ديفو "١٧٣١".

يلاحظ المرء أن معاناة روبنسون تشبه معاناة السندباد البحري، خاصةً في بداية الرحلة البحرية، حيث تحطمت السفينة وبقي حيًّا دون سائر الركاب، فعاش في جزيرة نائيةً وحيدًا[١].

وبذلك لم يكتفِ دانييل ديفو بالتأثر بقصة "حي بن يقظان" وإنما تعددت مجالات تأثره، ليتجاوز ذلك التأثر إلى الإبداع، الذي ينطلق من خصوصيته التي تنبع من معاناته الذاتية وخصائص أمته.

"حي بن يقظان" لابن طفيل:

ازدهرت الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى، في زمن كانت فيه أوروبا تغرق في الظلام، وقد شكلت إسبانية التي دعاها المسلمون ب"الأندلس" مركز إشعاع حضاري في تلك الفترة، إذ يلجأ إليها العلماء وطلاب المعرفة من سائر أوروبا، وكما تقول الدكتورة "لوثي لوبيث بارالت" من الظلم البين ألا نقبل القول: بأن إسبانيا الإسلامية كانت تشكل بالفعل معجزة ثقافية حقيقية في إطار القارة الأوروبية في القرون الوسطى.

وبفضل العرب المسلمين، لم تبلغ أية أمة أوروبية أخرى ما بلغته شبه الجزيرة الأيبيرية من تقدم العلوم والفنون في تلك العصور التي كانت وسيطة أو مظلمة بالنسبة لقارة أوروبا، لكنها لم تكن على الإطلاق بالنسبة إلى الأندلس[٢].

لذلك بإمكاننا أن نقول: إن معظم المبدعين الذين أسسوا لتجاوز عصر الظلام في أوروبا، كانوا على صلة ما بإسبانية، إما عن طريق السفر والعيش فيها مدة من الزمن، أو عن طريق الاطلاع على الكتب التي نشرت فيها مترجمة من العربية إلى اللاتينية، ثم انتشرت في سائر أوروبا، لكن من الملاحظ أن معظم الغربيين ينكرون هذه الحقيقة، فها هي ذي زيغريد هونكة تقول: "تعودنا أن نقيس بمقياسين، سواء في العلم أو في الفن، فنحن الغربيين حين نقيّم الحضارة الغربية ننظر بعين

---

١ دانيال ديفو "روبنسون كروزومرجع سابق، ص ٤٥

٢ زيغريد هونكه "شمس العرب تسطع على الغرب" منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٨، ١٩٨٦، ص ٤٨٣

الاعتبار إلى منهجها وليس إلى مصدرها، وحين نذكر الحضارة الغربية نقتصر على ما ينبع من الحضارتين الإغريقية والرومانية وتهمل ما عدا ذلك من المصادر الأخرى.

رغم الأثر الذي خلفته الحضارة العربية الإسلامية في إسبانيا، والذي شمل جميع المجالات الأدبية والعلمية، فقد كانت إحدى أكبر مراكز الإشعاع في أوروبا.

وخير دليل على هذا القول: أن الإنكليزي دانييل ديفو "١٦٦١- ١٧٣١" الذي ألف "روبنسون كروزو" قد عاش في إسبانيا مدة عامين، فقد كان عصره عصر اضطرابات وثورات شارك في بعضها، فتعرض للمخاطر التي من بينها السجن، لذلك هرب إلى إسبانية.

صحيح أن نشأته متواضعة، فقد كان ابنا لقصاب يعمل في لندن، حيث تعلم فيها ديفو، علوما متعددة شملت معارف عصره من الرياضيات والفلك والتاريخ، بل زاد عليها إتقانه خمس لغات١.

لم تظهر موهبته الفكرية والأدبية إلا بعد عودته منها، فقد أصدر صحيفة باسمه، كتب فيها اقتراحاته الاقتصادية المثمرة، التي أخذت بها بلاده.

تعود شهرته الأدبية إلى قصيدة نظمها في الدفاع عن "وليم أورنج" ملك إنكلترا ردًّا على قصيدة نظمها أحد الشعراء في التهكم عليه، فأكسبته عطف الملك وحب الحكومة والشعب.

ألف كثيرًا من الأبحاث والمقالات والرسائل في الدين والسياسة والوطن، وقد أدرك بفطرته تعلق الجمهور بالقصص، وشدة تأثره بها وتهافته عليها، خاصة إذا كانت صادقة الوصف والتحليل، تهتم بتصوير الحياة بدقة، لذلك نالت قصصه نجاحًا كبيرًا، لأنها كانت تخلق سحرًا خلّابًا يزينه الصدق والدقة، وقد نشر القسم الأول من قصته "روبنسون كروزو" عام ١٧١٩، فلاقت شهرة واسعة جدًّا، مما شجعه على تتمة القصة، وأكسبه من المال ما جعله يعيش بقية عمره مستريح البال، إلى أن أنهكه مرض النقرس وعقوق ولده، فعجّل بموته عام "١٧٣١".

أما ابن طفيل فقد ولد نحو ٥٠٠ للهجرة "١١٠٦م" في غِرناطة بالأندلس، قرأ أقسام الحكمة على علماء غرناطة، كان واسع العلم في الفلك والرياضيات والطب والشعر، وقد عمل في مستهل حياته بالطب ثم تولى الوزارة في غرناطة، ثم اتصل ببلاط الموحدين في المغرب، ولم يلبث أن عُين في عام"٥٤٩ هـ ـ ١١٥٤م" كاتمًا لسر الأمير أبي سعيد بن عبد المؤمن حاكم سبتة وطنجة، ثم عاد إلى ممارسة الطب، إذ أصبح الطبيب الخاص لأبي يعقوب يوسف سلطان الموحدين في عام "٥٥٨

١ زيغريد هونكه، مرجع سابق، ص ٣٧.

هـــ١١٦٣م" ويبدو أنه ظل يحتفظ بمنصبه بالبلاط مدة عشرين عامًا قضاها في التأمل والدراسة إلى جانب ممارسة الطب١.

وحين تُوفي أبو يعقوب في حرب الفرنجة بقي في خدمة ابنه أبي يوسف يعقوب، ثم اعتزل العمل ربما لكبر سنه "عام ٥٧٨هـــ" في البلاط، فخلفه تلميذه ابن رشد الفيلسوف. توفي ابن طفيل "عام ٥٧٨ ه١١٨٥م" في مدينة مراكش، ودفن فيها، وقد ترك عددًا من المؤلفات التي فقد معظمها، و لم يبقَ منها سوى رواية "حي بن يقظان" وبعض الأشعار المتفرقة.

مكانة قصة ابن طفيل في الأدب العالمي

ظهرت لرواية ابن الطفيل ترجمة لاتينية عام ١٦٧١م بقلم إدوارد بوكوك، وأنها قد أوحت إلى المفكرين بمفهوم الـــ tabula rasa أي: العقل في حالته الأصلية قبل أن تدخله أية فكرة أو معلومة، وقبل أن يخبر الحياة أو يعرف أي شيء فيها، وهو المفهوم الذي طوره جون لوك في رسالته "Understanding an essay concerning human"وكان لوك تلميذًا لبوكوك، وقرأ ترجمته لكتاب ابن الطفيل وأبدى إعجابه به.

كما أوحت ""حي بن يقظان"" إلى روبرت بويل بكتابة رواية "the aspiring naturalist" التي تقع أحداثها هي أيضًا فوق جزيرة من الجزر. وترجمة إنجليزية لها فقد صدرت عام ١٦٨٦م بقلم جورج أشويل اعتمادًا على الترجمة اللاتينية السالفة الذكر، ثم ترجمت مرة أخرى إلى الإنجليزية من العربية مباشرة عام ١٧٠٨م على يد سيمون أوكلي، لتظهر بعدها ترجمتان إنجليزيتان أخريان. كما أشار محرر المادة إلى اطلاع سبينوزا -الفيلسوف الألماني- على الرواية وتشجيعه أحد أصدقائه على ترجمتها إلى الهولندية، فكانت الترجمة التي ظهرت سنة ١٦٧٢م، ثم ظهرت ترجمة هولندية أخرى بعدها بنحو ثلاثة عقود عام ١٧٠١م .

كما ظهرت ترجمتان ألمانيتان أخريان :

١ زيغريد هونكه، مرجع سابق، ص ٦٥.

أولاهما: تسند إلى الترجمة اللاتينية:

والثانية: مأخوذة من النص العربي دون وسيط. وقد اطلع الفيلسوف الألماني لينيز على إحدى هاتين الترجمتين، وأثنى على ما في الرواية من فلسفة عربية إسلامية ثناء كبيرا. وبالمثل اطلع اساتذة السوريون على ترجمة بوكبوك، وكانوا مبتهجين بها أشد الابتهاج .

وفي سنة ١٧١٩م ألهمت إحدى الترجمات الإنجليزية لـــ""حي بن يقظان"" الرواتي دانيل ديفو فكتب روايته "Robinson crusoe" :التي جرت وقائعها في إحدى الجزر المهجورة، وهو العمل الذي يعده مؤرخو الأدب أول رواية إنجليزية ثم ظهرت رواية أخرى عام ١٧٦١م بريطانيا على نفس الشاكلة تحتوي على أشياء كثيرة جدًّا من ترجمة بوكوك لـــ""حي بن يقظان"" ثم أعيد طبع ترجمة بوكوك ثانية عام ١٨٠٤م. أما ترجمة "ابن يقظان" إلى الأسبانية، فقد تأخر ظهورها إلى بداية القرن العشرين. ثم ظهرت ترجمة فرنسية لها في نفس العام بقلم المستشرق ليون جوتييه[١] .

وفضلًا عن هذا كانت "حي بن يقظان" إرهاصًا على نحو من الأنحاء برواية جان جاك روسو المشهورEmile :، كما أن بينها وبين رواية ردیار كبلج the jungle book :

شبهًا واضحًا، وكذلك بينها وبين رواية "طرزان" بقلم إدجار رايس باروز، وتدور حول طفل رضيع هجرته أمه في جزيرة استوائية خالية من السكان حيث التقطته وربته واعتنت به ذئبة من الذئاب. وهناك كتاب ومفكرون أوربيون غير قليلين تأثروا بترجمة بوكوك لرواية "حي بن يقظان" منهم جون واليس وروبرت باركلي وكارل ماركس وطائفة الكويكرز المعروفة وآخرون[٢].

وفي عام ١٧٢١ م ظهر في أمريكا كتاب "the Christian philosopher والقسيس الأمريكي البيوريتاني كوتون ميثر، الذي لم يمنعه وسمه المسلمين بالكفر من استيحاء رواية "حي بن يقظان" في كتابه هذا ولا من الاعتراف بتأثيره عليه، ناظرًا إلى حي بطل الرواية بوصفه نموذجًا للفيلسوف النصراني المثالي، ومحاولًا من خلاله فهم نفسية سكان أمريكا الأصليين، أي: الهنود الحمر، بُغية تحويلهم إلى مذهبه البيوريتاني .

وكما نرى فإن مادة ""حي بن يقظان"" في النسخة الإنجليزية من "الويكيبيديا" تؤكد أن تأثير رواية ابن الطفيل على الآداب الأوربية تأثيرًا واسعًا وعميقًا.

---

١ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٦٢م، ص ٣٥

٢ محمد غنيمي هلال، ١٩٦٢م، مرجع سابق ،ص ٤٣

وقد سبق أن رأينا كيف تؤكد مادة "حي بن يقظان" في موسوعة "الويكبيديا" أن للرواية العربية تأثيرًا قويًّا على نظيرتها الإنجليزية. وهو رأي من الآراء المختلفة في هذه القضية التي ينقسم مقارنو الأدب بشأنها، إذ هناك من يتجاهل تلك الصلة ولا يتحدث عنها بل لا يومئ إليها مجرد إيماء، وكأنها لم تكن ولا يمكن أن تكون. وهناك مَن يؤكد أن ديفو إما سرق ما كتبه سيلكيرك البحار الاسكتلندي عن مغامراته الحقيقية المشابهة لما جاء في قصة "روبنسون كروزو"، تلك المغامرات التي نشرت أكثر من مرة قبل كتابة ديفو لروايته. وهناك مَن يشير إلى وجوه الشبه بين رواية ديفو ورواية ابن الطفيل، إلا أنه يردف ذلك بأنه لم يثبت أن ديفو قد استوحى كتاب الفيلسوف الأندلسي، إذ ليس هناك أي دليل على أنه قد وقع في يده فضلًا عن أن يكون قد قرأه. وهناك من يوافق على أنه لم يثبت تاريخيًّا أن ديفو قد اطلع على "حي بن يقظان"، بيد أن يحتم مع هذا أن يكون قد قرأها وتأثر بها.

يقول د. سعيد إبراهيم عبد الواحد في مقال له بعنوان "الترجمة إثراء للثقافات المختلفة" منشور في مجلة "ديوان العرب" الضوئية بتاريخ ٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥م عن "حي بن يقظان" أنها من أعظم قصص العصور الوسطى ابتكارًا. وقد كان لهذه القصة الأثر الفعال في الآداب الأوروبية بعد عصر النهضة، وذلك بعد أن ترجمت إلى لغات أجنبية مختلفة وانتشرت طبعاتها في كل مكان: فقد ترجمت إلى العبرية سنة ١٢٨٠م، ٦٧٩هـــ على يد اليهودي إسحاق بن لطيف، ثم زاد عليها موشيه بن يشوا الملقب بالشرنوبي بعض الحواشي والشروح.. كان هذا عام ١٣٤٩م الموافق ٧٥٠هـــ، وفي العام ١٦٧١ ظهرت طبعة جيدة تحمل النص العربي للقصة مع ترجمة لاتينية قام بها إدوارد بوكوك، وقد كانت مصدرا لعدة ترجمات ظهرت بالإنجليزية فيما بعد. كما تنسب إلى سبينوزا ترجمة لقصة "حي بن يقظان" من اللغة اللاتينية إلى اللغة الهولندية .

ويذكر فاروق سعد في كتابه عن "حي بن يقظان" أن جورج كيث قد قدم في العام ١٦٧٤م ترجمة رائعة باللغة الإنجليزية عن النص اللاتيني المترجم عن العربية أصلًا. وبعدها بعدة سنوات، أي: في العام ١٦٨٦م، ظهرت ترجمة أخرى للقصة من اللاتينية إلى الإنجليزية قام بها جورج آشويل. وفي عام ١٧٠٨م نشرت ترجمة إنجليزية لقصة "حي بن يقظان" أعدها سيمون أوكلي معتمدًا على النص

العربي المحقق من بوكوك. وتتميز ترجمة أوكلي بأنها كاملة. أما عن الترجمات الحديثة فقد قام ب. برميل بترجمة "حي بن يقطان" إلى الإنجليزية عام ١٩٠٤م١.

وعرفت اللغة الألمانية ترجمة لقصة ابن طفيل: "حي بن يقطان" قام بها ج. بارتيوس، ونشرت في فرانكفورت عام ١٧٢٦م. كما أن هناك ترجمة أخرى لقصة "حي بن قطان" إلى اللغة الألمانية قام بها ج. ج. أيكورم، ونُشرت في برلين عام ١٧٨٣م. وفي عام ١٩٠٠م نشرت في سرقسطة الترجمة الإسبانية لقصة "حي بن يقطان" وقام بها ب. بونز. وحديثًا في العام ١٩٣٧م ظهرت ترجمة أخرى إلى الإسبانية قام بها أنخل جونثالث بالنثيا. وترجم ليون جوتييه قصة "حي بن يقطان" إلى الفرنسية. وقد صدرت إحدى طبعات هذه الترجمة في بيروت عام ١٩٣٦م٢.

نجد أن ظهور قصة " حي بن يقضان " كان في القرن الثاني عشر الميلادي فيما ظهرت القصة الانجليزية " روبنسون كروزو " في القرن الثامن عشر الميلادي أي بعد ستة قرون من ظهور قصة ابن الطفيل ، ولعل السبق الزمني هو المفتاح الأول للمقارنات الأدبية في قضايا تأثير الآداب في بعضها البعض، كما لاحظ تشابها بين القصتين من عدة نواح استهلها بما يلي :

- القصتان تدوران حول موضوع واحد، وهو قصة إنسان من بني البشر رمت به الأقدار عبر أمواج البحر إلى جزيرة نائية خالية من السكان فعاش كل منهما باستخدام عقله فبنى مسكنا واكتسى وربى الماشية وزرع الحبوب وتغذى...
- كلا القصتين تحتويان على كثير من الجوانب الفنية في القصص من حيث التعليل والشرح والتوضيح بمجرى الأحداث وكأنها ليست من صنع الخيال وكأنها من أصل الحقيقة والواقع.
- كلا القصتين احتوتا على خصائص المدرسة الواقعية في الأدب كما صورته عما يمكن أن يكون عليه الإنسان ففي ذلك سبق للمذهب الواقعي في هاتين القصتين[٣].
- التفكير الذي كان يخالج روبنسون كروزو وحي بن يقضان وأعمال الفكر يعد نوعا من القصص الفني الذي يسمى بتيار الوعي Stream Of Consciousness أو"المونولوج الداخلي "٤.

---

١ محمد غنيمي هلال، ١٩٦٢م، مرجع سابق، ص ٤٦

٢ محمد غنيمي هلال، نفس المرجع السابق، ص ٥٠

٣ Baker and J. Packman, A Guide to the Best Fiction, London, ١٩٦٨ P.P. (١٣٤-١٣٥. E. A.

٤) E .A. Baker, The History of the Engliche Novel, London ١٩٢٩ Vol. ٣) P. P. ١٤٧

- مؤلفي القصتين عمدا إلى ناحية فنية في القصص، وهو بناء ورسم الشخصية فقد رأينا نمو الشخصيتين الرئيسيتين في القصتين في تطور دائم وحركة مستمرة.
- قصة حي بن يقظان قامت على أسلوب رمزي هدف الكاتب فيه إلى العبرة والموعظة ليوضح مدى قدرة الله سبحانه وتعالى على تسخير ما في هذا الكون للإنسان ، وإعانته على استخدام القوة التي أودعها الله فيه من البسطة في العلم والعقل ، ويؤكد هذا ما ذهب إليه ابن الطفيل نفسه في مقدمة قصته إذ يقول :

" فأنا وأصف لك قصة حي بن يقظان...ففي قصصهم عبرة لأولي الألباب وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد " وفي هذا إشارة إلى المغزى.

أخيرا إنه لمن المعلوم أن قصة " حي بن يقظان " قد تمت ترجمتها إلى كثير من اللغات وفي مقدمتها اللغة اللاتينية ، الانجليزية ، الألمانية ،... وهنا نبرز مدى التأثر بهذه القصة ، وهذه القضية محل كثير من الجدل والمناظرة إذ يذهب الناقد غنيمي هلال إلى أنه لا يوجد تأثير من قصة "حي بن يقظان" وأن الشبه الظاهري ضئيل ، بينما يذهب البعض إلى وجود أثر واضح ، يقول الناقد الإنجليزي ارنست ببكر Ernest Baker في كتابه " تاريخ الرواية الانجليزية " إن قصة حي بن يقضان كانت من المصادر الأساسية والرئيسية التي استقى منها دانيال ديفو موضوع قصته" ١.

لقد اتضح لنا التشابه الكبير بين القصتين والذي لا نستطيع بحال من الأحوال أن نعزوه إلى عامل المصادفة خصوصا أن القصة قد لاقت اهتماما كبيرا للترجمة في الأدب الانجليزي هذا يجعلنا نقول أنه لا بد أن ثمّة تأثيرا من قصة " حي بن يقضان " على قصة " روبنسون كروزو.

---

١) E .A. Baker, The History of the Engliche Novel, London (١٩٢٩ Vol. ٣) P. P. ١٤٧

الخاتمة

وتشتمل على النتائج و التوصيات

الحمد لله رب العاملين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تعد قصة ""حي بن يقظان" من أهم القصص التي ظهرت في العصور الوسطى، في نظر كثير من النقاد، فهي رائدة في فن القص، إلى جانب ألف ليلة وليلة، لهذا لا يحق لنا أن نحاكمها بمقاييس عصرنا، وما توصلنا إليه من إنجازات في النظرية السردية، فإذا حاولنا الحديث عن هذه القصة، بمقاييس عصرنا اليوم فليست الغاية تقويمية، كما قد يظن البعض، وإنما من أجل إبراز إنجازاتها الفنية المدهشة، وإبراز سقطاتها الفنية التي مازلنا نلاحظها لدى كتابنا اليوم، لذلك لا يضير مكانة ابن طفيل وريادته الحديث عنها.

ثمة وعي لدى المؤلف أنه يقدم قصة، لذلك وجدناه يستخدم هذا المصطلح في التمهيد "فأنا واصف لك قصة ""حي بن يقظان"" وقد استخدم مصطلح "واصف" بدل مصطلح "سارد" أو "أقص" كذلك أبرز في التمهيد أسباب كتابة هذه القصة، إنها أسباب تعليمية فقد كتبها بناء على سؤال صديقه عن الحكمة المشرقية التي ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا، لذلك ينصحه بلهجة تعميمية قائلا: "فاعلم: أن من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه، فعليه بطلبه والجد في اقتنائه" وهذا ما فعله بطل قصته (حي) حين بذل غاية جهده ليصل إلى الحقيقة.

ثمة عناية في رسم هذا المشهد، ظهرت في طريقة تقديم المؤلف للشخصيتين الرئيستين في القصة، فلجأ إلى رسمهما من الخارج وخاصة شخصية (حي) فبرز لنا في شكله البدائي (شعر رأسه يغطي جسده، ريش النسر الذي يكسوه) كما وصف لنا الأعماق، فاستطاع أن يبرز لنا حالة الرعب التي أحس بها كل واحد منهما حين التقى بالآخر، وخاصة رعب المدني من البدائي، وبذلك اجتمع في هذا المشهد عناصر سردية تجعل هذه القصة ذات سمات فنية ممتعة إلى حد ما.

صحيح أن بداية القصة وخاتمتها تمتعت بقدرات جمالية في السرد، لكن صلب القصة التي تتحدث عن معاناة (حي) الروحية إثر وفاة أمه، بدت أشبه برحلة فلسفية صوفية علمية، فقد أسقط ابن طفيل أفكاره على الشخصية (حي) وجعله يتحدث بلغته الفلسفية الصوفية، فبدت لنا هذه

الشخصية البدائية أشبه بفيلسوف مسلم، يتحدث لغة القرآن الكريم، دون أن يتعرف على الإسلام بعد.

إذا رغم حياة العزلة التي عاشها (حي) فقد وجدناه عالما في الفلك، حين تأمل الكون ونشأة الأرض، كما وجدناه طبيبا، حين بدأ بتفحص جثة أمه الظبية، ويشرحها باحثا عن مصدر الحياة وسبب الموت، لنتأمل هذا القول، الذي يرصد لنا أعماق الشخصية وأفكارها "وعلم أن أمه التي عطفت عليه وأرضعته، إنما كانت ذلك الشيء المرتحل، وعنه كانت تصدر تلك الأفعال كلها، لا هذا الجسد العاطل، وأن هذا الجسد بجملته، إنما هو كالآلة وبمنزلة العصي التي اتخذها لقتال الوحوش، فانتقلت علاقته عن الجسد إلى صاحب الجسد ومحركه، و لم يبق له شوق إلا إليه".

ومن خلال سردنا إلى لقصة "حي بن يقظان" نكون قد وصلنا إلى نهاية المطاف في الرحلة السريالية وقد تم التوصل إلى عدد من النتائج والتي من أهمها :

- لقد تم ترجمة قصة "حي بن يقظان" إلى العديد من اللغات أولها اللاتينية ، ثم الإنجليزية و الألمانية الفرنسية وحتى العبرية.

- ظهرت قصة "حي بن يقظان" في القرن الثاني عشر الميلادي أي أنها سبقت الأدب العالمي وفيما ظهرت القصة الانجليزية " روبنسون كروزو " في القرن الثامن عشر الميلادي أي بعد ستة قرون من ظهور قصة ابن الطفيل.
- لاقت قصة ابن طفيل اهتماما كبيرا للترجمة في الأدب الانجليزي هذا يجعلنا نقول أنه لابد أن ثمّة تأثيرا من قصة " حي بن يقضان " على قصة " روبنسون كروزو.

- تعتبر قصة "حي بن يقظان"، من أعظم قصص العصور الوسطى ابتكارًا. وقد كان لهذه القصة الأثر الفعال في الآداب الأوروبية بعد عصر النهضة، وذلك بعد أن ترجمت إلى لغات أجنبية مختلفة وانتشرت طبعاتها في كل مكان.

- خلفت الحضارة العربية الإسلامية في إسبانيا تراثاً، والذي شمل جميع المجالات الأدبية والعلمية، فقد كانت إحدى أكبر مراكز الإشعاع في أوروبا.

وبناء على تلك النتائج نوصي بإدراج عدد من التوصيات التي من أهمها:

١. من الضروري الاهتمام بالأدب العربي وخاصة في القصص والروايات وإجراء المزيد من الدراسات .

٢. من الضروري إجراء مزيد من الدراسات المماثلة تتناول قصص أدبية خالدة وخاصة في التراث القديم.

٣. من الضروري إجراء دراسات مماثلة مقارنة بين الأدبين العربي و الإنجليزي.

٤. من الضروري تناول الأدب القصصي والروائي مثل "كليلة و دمنة" ، "الحيوان" و العديد من القصص الأدبية القديمة.

٥. من الضروري دراسة الأدب القصص الحديث لإبراز جماليات الأدب القصص العربي الحديث.

نرجو أن نكون قد وفقنا في تناولنا لقصة "حي بن يقظان" على النحو المطلوب والله من وراء القصد، وإليه المصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر:

١. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، تح: نواف الجراح ، دار صادر – بيروت ٢٠٠٠م.

٢. ابن طفيل في مواجهة السلف، العصر الحديث للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٩.

٣. ابن طفيل: السيرة والمؤلف. ضمن ندوة في ذكرى وفاة ابن طفيل. اجتماع الخبراء بمراكش ٩/٦ يوليوز ١٩٨٧.نشرت ضمن كتاب تدريس الفلسفة والبحث الفلسفي في الوطن العربي.

٤. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، ط٢، ١٤١٧ هـ الجزء الخامس باب التاء.

٥. الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين، الجزء السادس دار العلم للملايين بيروت الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.

٦. أمين، أحمد ، "حي بن يقظان"، لابن سينا وابن طفيل والسهروردي، د. ط، دار المعارف –مصر، ١٩٦٦م .

٧. بارالت، د. لوثي لوبيث، "أثر الثقافة العربية في الأدب الإسباني" كتاب الرياض، ، عدد (٥٤) يونيو، ١٩٩٩.

٨. برجير، دانييل، النقد الموضوعاتي، عن كتاب مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ترجمة رضوان ظاظا سلسلة عالم المعرفة الكويتية العدد ٢٢١ ماي ١٩٩٧م.

٩. البورقادية، حبيبة ، الأدب الأندلسي وأثره في الآداب الأوربية خلال القرون الوسطى ـــ مجلة: الباحث/الرباط ـــ السنة الأولى ، المجلد الأول .

١٠. التازي، عبد الهادي ، ابن طفيل الشاعر الحماسي، مقال منشور في العدد الخاص عن ابن طفيل من مجلة الطريق، ينايروفبراير ، بيروت ، ١٩٦٢م.

١١. ترجمة ابن طفيل : الإحاطة في أخبار غرناطة (٢/٤٧٨)

١٢. تزيني، الأستاذ طيب "ابن طفيل الامتداد الطبيعي لفكر ابن سينا المادي الهرطقي" ضمن مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط دار دمشق للطباعة والنشر ب. ت.

١٣. حسن، د. أشرف حسن محمد، قصة "حي بن يقظان" وتأثرها بالأدب. بحث في: الأدب. قسم اللغة العربية. كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية بماليزيا. شاه علم – ماليزيا
١٤. ديفو، دانيال "روبنسون كروزو" ت. كامل كيلاني، مطبعة المعارف بمصر، ط٣، د.ت
١٥. ريدان، سليم ، ظاهرة التماثل والتميز في الأدب الأندلسي ـــ منشورات كلية الآداب بمنونة/ تونس ٢٠٠١ ـــ ج ٢.
١٦. سرحان، د. سمير ، و عناني، محمد، ابن طفيل "حي بن يقظان" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩.
١٧. سعد، فاروق ، ابن طفيل "حي بن يقظان" ، بيروت ، (١٩٧٤).
١٨. سعيدان، عمر، قصة "حي بن يقظان" ، ابن طفيل ، دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقيةط٢ ١٩٨٨
١٩. شمس الدين، عبد الأمير ، الفكر التربوي عند ابن طفيل في كتابه ("حي بن يقظان") ، ط١، دار الكتاب العالي – بيروت لبنان.
٢٠. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، ١٩٦٠.
٢١. عباس، حسن محمود ، "حي بن يقظان" وربنسون كروزو – دراسة مقارنة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ١٩٨٣م .
٢٢. عباس، حسن محمود، "حي بن يقظان" وربنسون كروزو – دراسة مقارنة.
٢٣. عبدالرحمن، د .عائشة (قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر)، ط٢ دار المعارف، ١٩٧٠م.
٢٤. عبيدات، ذوقان، وآخرون: البحث العلمي – مفهومه، أدواته، أساليبه، دار أسامة للنشر والتوزيع، الرياض ١٩٩٩م.
٢٥. العساف، صالح بن حمد، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـــ.
٢٦. غومس، يليو غرسيه ، قصيدة جديدة لابن طفيل لم تنشر، ترجمة : أحمد هيكل، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى – مدريد، ١٩٥٣م.

٢٧. فروخ، عمر، ابن طفيل وقصة "حي بن يقظان"، دار لبنان للطباعة والنشر بيروت ط٢، ١٩٨٦.
٢٨. فروخ، عمر، ابن طفيل وقصة "حي بن يقظان"، سلسلة دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط٢، د.ن –بيروت ١٩٥٩م.
٢٩. القاسم، أحمد، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت ط٢ ١٩٩٤م.
٣٠. القسطنطي، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تح: إبراهيم الزين ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٨م.
٣١. محمود، عبد الحليم: فلسفة ابن طفيل ورسالته "حي بن يقظان" دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة –١٩٨٢ م.
٣٢. المراكشي، عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح: محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي ، مطبعة الاستقامة – القاهرة ط١ ١٣٦٨هـ.
٣٣. المرصفي، محمد علي، في التربية الإسلامية بحوث ودراسات، مكتبة وهبة، القاهرة.١٩٨٦م.
٣٤. مكي، د. الطاهر "في الأدب المقارن، دراسات نظرية وتطبيقية" دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧.
٣٥. نجيب، أحمد ، المضمون في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة. ١٩٧٩م.
٣٦. هلال، محمد غنيمي ، الأدب المقارن، مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٦٢م
٣٧. هونكه، زيغريد "شمس العرب تسطع على الغرب" منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٨، ١٩٨٦.
٣٨. E. A. Baker and J. Packman, A Guide to the Best Fiction, London, ١٩٦٨ P.P. ١٣٤-١٣٥)